

أبطال بلدنا

تأليف: يعقوب الشاروني



رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
حلمى النمنم محمد الشافعى

مديرا التحرير
سنيه عامر مجدى اسحق

المدير الفنى: **أشرف سعيد**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢عددا)٤٨ جنيها داخل ج.م.ع تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية.
البلاد العربية ٣٠ دولارا، وأوروبا وآسيا وأفريقيا ٣٥ دولارا، أمريكا وكندا والهند، باقي دول العالم ٥٠ دولارا.
القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال ويرجي عدم ارسال عملات نقدية بالبريد.

العناوين

الادارة: القاهرة، ١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط).
المراسلات: ص.ب ٦١ العتبة، القاهرة.
الرقم البريدى ١١٥١١، تلغرافيا: المصور، القاهرة ج.م.ع.
فاكس: ٢٣٦٢٥٤٦٩
مكتب الاسكندرية:
٢ شارع استامبول - محطة الرمل - تليفون: ٤٨٧٠٦٤٨
فاكس: ٤٨٧٣٠٥٨

رقم الايداع: ٢٠١٢/٢٥٦٤ الرقم الدولى: 977/07/1519/0

مقبرة الغزاة

كثيرة هى الكتابات عن حملات الفرنجة الصليبية ضد العرب .. وقد ساهمت مصر بالنصيب الأكبر فى دحر وهزيمة هذه الحملات .. حيث تكسرت على أبوابها الحملة الخامسة .. وانهارت على أرضها الحملة السابعة التى قادها لويس التاسع .. فيما عرف بمعركة المنصورة .. وقد سعى لويس التاسع إلى الثأر من هزيمة الحملة الخامسة .. ومن استرداد العرب للقدس فى عام ١٢٤٤ .. فدعا فى العام التالى مباشرة إلى تجهيز حملة جديدة .. واستطاع الحصول على مباركة بابا روما (إينوسينث الرابع) - واستمر تجهيز هذه الحملة ثلاث سنوات .. حيث أبحر لويس التاسع على رأس جيش كبير مكون من ١٨٠٠ سفينة .. ونحو ٨٠ ألف مقاتل .. واصطحب معه زوجته (مرجريت) وأخويه (شارل - روبرت) ..

وأجرت الحملة وقفة تعبوية فى جزيرة قبرص .. مما ساعد على تسرب أخبارها إلى مصر .. فسارع الملك نجم الدين أيوب إلى فك حصاره عن مدينة حمص .. والعودة سريعًا إلى مصر لإقامة التحصينات .. والاستعداد لصد هذه الحملة الاستعمارية الجديدة .. لكن المرض الشديد داهم الملك نجم الدين أيوب .. ومع ذلك أمر الأمير حسام بتجهيز الأسطول .. وأمر الأمير فخر الدين يوسف ليعسكر على رأس الجيش فى البر الغربى من دمياط ، وكان ذلك فى أبريل ١٢٤٩ .. وسار أسطول الفرنجة تجاه مصر .. ورغم شدة الرياح استطاع الوصول إلى سواحل مصر فى بداية شهر يونية ١٢٤٩ .. ووصل إلى دمياط يوم ٥ يونية .. وأقيمت خيمة كبيرة للملك لويس .. ونشب قتال كبير بين الجيشين انتهى بتراجع المصريين .. وفى المساء ظن الأمير فخر الدين يوسف أن الملك نجم الدين أيوب قد مات ، فأمر بانسحاب الجيش من دمياط .. ليستولى عليها الفرنجة بسهولة ومن دون أية مقاومة ..

وفى المقابل انطلقت صيحات الجهاد فى كل أنحاء مصر .. فانطلق المقاتلون من كل مكان إلى مدينة المنصورة .. وبدأت حرب عصابات واسعة ضد جيش الفرنجة المتحصن خلف أسوار دمياط .. والتى وصل إليها الشقيق الثالث للملك لويس (ألفونس) ومعه امدادات جديدة .. وقرر لويس بعد التشاور مع

أركان حربه التوجه إلى القاهرة لكى يضرب (الأفعى على رأسها) كما قال مستشاروه .. وأثناء ذلك توفى الملك نجم الدين أيوب يوم ٢٣ نوفمبر ١٢٤٩ .. وعلم الفرنجة بشكل أو بآخر بوفاة الملك فتشجعوا .. وفى ٨ فبراير ١٢٥٠ علم الفرنجة عن طريق أحد جواسيسهم طريق (بحرأشموم) .. ونجحت فرقة منهم يقودها الأمير روبرت فى العبور إلى ضفة المصريين وقاموا بهجوم كاسح على معسكرهم قبل المنصورة بثلاثة كيلو مترات .. وفى هذا الهجوم قتل الأمير فخر الدين يوسف قائد الجيش .. الذى تراجع جيشه إلى المنصورة .. وتقدم بقية جيش الفرنجة ليطارد جيش المصريين ..

استطاعت الملكة شجرة الدر زوجة الملك نجم الدين أيوب إخفاء خبر موت الملك .. ووضعت ثقتها فى المماليك ، فتقدم فارس الدين أقطاى .. وعز الدين أيبك وبيبرس وقطز .. واستطاع المماليك تنظيم القوات المنسحبة .. ووافقت شجرة الدر على خطة بيبرس باستدراج الفرنجة ومحاصرتهم فى كمين محكم داخل مدينة المنصورة .. حيث قضت الخطة بتراجع الجيش وسكان المدينة والتزام الصمت لتبدو المدينة وكأنها خاوية .. مما شجع الفرنجة على اقتحام المدينة واندفعوا إلى قصر السلطان للسيطرة عليه .. وفجأة خرج الجيش المصرى كالرعد وأحاطوا بالفرنجة من كل جانب وتم قطع طريق العودة فى وجه الجيش الغازى الذى لم يجد الكثير من جنودة مفرًا إلا القفز فى النيل ليموتوا غرقى .. وتم القضاء على الغالبية العظمى من الجيش المهاجم الذى لم يتبق منه إلا أقل القليل .. واستمر القتال طوال اليوم .. وفى فجر اليوم التالى شن أقطاى هجومًا كاسحًا على المعسكر الأوربى فاوقع به خسائر فادحة .. وتحصن ما تبقى من الفرنجة داخل معسكرهم لمدة شهرين .. ووصل توران شاه ابن نجم الدين أيوب من الشام يوم ٢٨ فبراير ١٢٥٠ لتعلن شجرة الدر رسميًا وفاة الملك وليتولى توران شاه المسئولية .. وتم حصار الفرنجة من كل جانب بعد ان هدهم الجوع والمرض والخوف .. وعرض لويس التاسع تسليم دمياط على أن يتسلم بيت المقدس وأجزاء من ساحل الشام ..

ورفض المصريون عرض الملك المهزوم .. فحاول لويس الهروب مع ما تبقى من جيشه إلى دمياط .. فطاردهم الجيش المصرى وسحقهم بالكامل .. ووقع لويس التاسع وامراؤه ونبلاؤه فى الأسر يوم ٦ أبريل ١٢٥٠ .. وذلك فى منية عبد الله



(ميت الخولى عبد الله الآن) .. وتم إيداع لويس مكبلاً فى بيت ابن لقمان .. كما أُسِرَ أخواه شارل وألفونس .. وأقيم معتقل كبير للجنود الأسرى خارج مدينة المنصورة .. وتم الاتفاق على أن يترك لويس مصر مقابل التعهد بعدم العودة إليها مرة أخرى .. إضافة إلى فدية ٤٠٠ ألف دينار .. إضافة إلى تسليم دمياط للمصريين .. والطريف أن زوجته دفعت نصف الفدية وتعهد لويس بأن يدفع النصف الآخر بعد وصوله عكا .. ولكنه تهرب من الدفع .. وفى ٨ مايو ١٢٥٠ تم تسليم دمياط وغادر لويس مع من تبقى من حملته إلى عكا .. التى أقام فيها أربع سنوات لعله يحقق نصرًا فى الشام يمسح به عار ما لحق به فى مصر .. ولكنه لم يفعل شيئًا وعاد إلى فرنسا بعد موت والدته التى كانت تحكم فى غيابه .

وهكذا انحسرت شوكة الحملات الصليبية بعد دحر حملتهم السابعة على مصر .. وبانتهاء هذه الحملة انتهى أيضًا حكم الأمويين فى مصر .. وبدأت دولة المماليك. وقد أفرزت معركة المنصورة العديد والعديد من الأبطال الذين سجلوا أسماءهم بأحرف من نور فى سجل الخلود الوطنى .. بعد أن قهروا ذلك الغزو الإستعمارى الذى اتخذ من الدين ستارًا لأطماعه ..

محمد الشافعى



فازت هذه المسرحية بالجائزة الأولى فى مسابقة كتابة رواية أو مسرحية عن معركة المنصورة عام ١٢٥٠، وهى المسابقة التى أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٠ . تحقيقًا لتوصية عَبَّر عنها الرئيس جمال عبد الناصر ، وتقدم لها نحو مائتين من المسرحيات والقصص .

وقد تفضل السيد الرئيس جمال عبد الناصر بتسليم الجوائز للفائزين ، وذلك فى الاحتفال الشعبى الذى حضره نصف مليون مواطن والذى أقيم بالمنصورة يوم ٧ مايو عام ١٩٦٠ فى ذكرى انتصار الشعب العربى على العدوان الأوربى فى القرن الثالث عشر .

وكانت لجنة فحص الإنتاج المقدم للمسابقة مكونة من أعضاء لجنة القصة بالمجلس الأعلى ، الأساتذة : الدكتور مهدى علام ، عبد الرحمن الشرقاوى ، الدكتور عبد القادر القط ، عبد الحميد جودة السحار ، محمد سعيد العريان ، طاهر الطناحى ، خالد محمد خالد ، عبد الحميد حسن ، د . محمد خلف الله أحمد .

شخصيات المسرحية

وفق ترتيب ظهورها على المسرح
(وضعنا حرف (ت) أمام أسماء الشخصيات التاريخية)

فاطمة . الأم - **فى الخمسين من العمر .**
بدرية - **ابنة فاطمة ، فى الثانية والثلاثين من العمر .**
قطر الندى - **صديقة بدرية ، فى التاسعة عشرة من عمرها .**
بدر الدين - **ابن فاطمة وأخو بدرية ، صبّاغ ، فى الثالثة والثلاثين .**
معين الدين النساج وبطرس الصراف - **صديقان لبدر الدين ، فى العقد الرابع من عمرهما .**
فيليب دى روزاريو - **قائد فرسان وجنود جمهورية بيزا .**
جاستون - **تابع فيليب . مهرج خفيف الظل .**
سارجين - **السير جوفروا دى سارجين (ت) . فارس فرنسى .**
مارسيل (ت)- **تابع السير دى سارجين .**
الملك لويس التاسع (ت) - **ملك فرنسا الذى قاد الحملة الأوربية على مصر عام ١٢٤٩ ، والذى يلقبه التاريخ " بالقديس لويس " .**
الملكة مرجريت دى بروفنس (ت) - **زوج الملك .**
جوانفيل (ت) - **فارس . فى حوالى الخامسة والأربعين من العمر .**
ريشار وجوزيف - **تابعا الملك .**
آرتوا - **الكونت روبرت دى آرتوا (ت) . أخو الملك لويس .**
ريجنالد - **قائد فرسان القديس يوحنا .**
ثلاثة فرسان صليبيون .
رسول من شيخ الجبل .
الكاردينال روبرت (ت) .
الطواشى صُبيح المعظَمى (ت) - **حبشىّ . رسول توران شاه (ابن السلطان نجم الدين صالح) ومن المقربين إليه .**

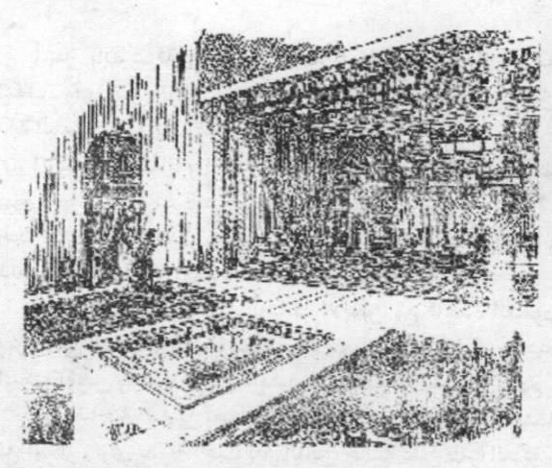
جمال . الطواشى جمال الدين محسن الصالحى (ت) - **نائب السلطان نجم الدين صالح .**
بيبرس البندقدارى (ت) .
شجرة الدار (ت) - **زوج السلطان نجم الدين صالح .**
ستة أعراب .
فارس مصرى .
سيمون (ت) - **غانية فرنسية .**
الفارس جون - **عهد إليه الملك برعاية الملكة فى دمياط . فى الخامسة والخمسين من العمر .**
رسول مصرى .
بواتييه - **أخو الملك لويس .**
مجموعات من جنود ونبلاء الفرنجة
جماعات من شعب المنصورة

المنـــاظر

الفصل الأول : (الأحد ٦ من يونيو عام ١٢٤٩ م) .
المنظر الأول منزل بدر الدين فى دمياط
المنظر الثانى نفس المكان السابق

الفصل الثانى : (الثلاثاء ٨ من فبراير عام ١٢٥٠م) .
المنظر الأول معسكر الفرنجة على شاطئ " بحر أشموم " أمام المنصورة
المنظر الثانى منزل بدر الدين فى المنصورة

الفصل الثالث : (ربعاء ٦ من أبريل عام ١٢٥٠ م) .
المنظر الأول قرية منية عبد الله
المنظر الثانى دار ابن لقمان فى المنصورة



الفَصْلُ الأوّلُ

المنظر الأول

(دمياط فى يوم الأحد السادس من يونيو عام ١٢٤٩ . قبل الغروب . منزل بدر الدين الصباغ - بيت أسرة ميسَّرة الحال من الطبقة الوسطى) .

(قبل ارتفاع الستار ، نسمع موسيقى تعبر عن القلق والترقب والحذر) .

المسرح يشمل البهو المسقوف فيما يلى الباب المفضى إلى الطريق ، ويليه - فى مقدمة المسرح - جزء من البهو غير المسقوف ، الذى تطل عليه حجرات البيت الداخلية . ترتكز حافة سقف البهو المسقوف من ناحية البهو غير المسقوف ، على عمودين ينتصبان بجوار حائطى اليمين واليسار .

تتوسط البهو المسقوف قاعدة شمعدان بها شمعة ضخمة قصيرة ، وفوقها تتدلى مشكاة ، كما تتوسط البهو غير المسقوف ، فسقية صغيرة .

فى الصدر ، نرى الباب المفضى إلى الطريق على اليسار ، وبجواره نافذة صغيرة مغلقة عليها ستارة جميلة .

إلى اليمين سلم خشبى مثبت إلى الحائط الأيمن ، ينتهى إلى ممر يجتاز الحائط المواجه فوق باب الطريق والنافذة ، ويؤدى إلى غرفة علوية يستخدمها بدر الدين معملاً لتجاربه الكيمائية ، ويقع بابها فى نهاية الممر بالجانب الأيسر أعلى المسرح . تعلو الممر نافذة واسعة من الزجاج الأبيض .

أسفل باب غرفة بدر الدين ، يقع الباب المفضى لى غرفة الضيوف . وفى نفس الجانب الأيسر ، فيما يلى العمود ، وبالقرب من مقدمة المسرح ، يقع باب غرفة الحريم ، وفوقه مشربية صغيرة .

الأبسطة والحشايا والمقاعد الخشبية المنقوشة والأقمشة ذات الرسوم المطرزة ، منتشرة فى ذوق سليم على الأرض والجدران . يُلاحَظ اهتمام أهل الدار بوضع ستائر انتقوها جيدًا ، لونًا وقماشًا ، وكذلك أغطية الحشايا ، فهم تجار أقمشة ، ويملكون مصبغة .

فى الركن الذى يكوّنه الحائط الأيمن مع قاعدة العمود الأيمن ، فى البهو غير المسقوف ، توجد منضدة عليها أوانٍ زجاجية وأنابيق وكؤوس وهاون خزفى ، أوعية مما يستعملها الكيمائى عادة .

فى الناحية اليمنى بجوار الفسقية ، دكة عليها حشايا ، عندما يرتفع الستار ، نرى بدرية أخت بدر الدين جالسة على تلك الدكة ، تتحدث همسًا مع صديقتها قطر الندى .

فتح باب غرفة الحريم ، وتطل منه فاطمة - والدة بدرية وبدر الدين - وترسل بصرها إلى السلم ، ثم تخرج وقد استندت إلى عكاز تحت إبطها ، ولا نلبث أن نتبين أن ساقها اليمنى مهيضة ، وأنها لا تستطيع السير إلا متكئة على العكاز .

تخطو فاطمة بضع خطوات حتى يصبح فى إمكانها أن ترى باب حجرة بدر الدين أعلى الممر العلوى . تخفت الموسيقى ثم تتوقف) .

الأم : (لبدرية فى قلق ، ونظرها لا يزال مستقرًا على حجرة بدرالدين) **لا يزال باب حجرة أخيك مغلقًا عليه حتى الآن .. ؟ تناول لقمة صغيرة فى الإفطار .. ثم اختفى فيها . كأنما لا ينوى مغادرتها اليوم .. لولا عكازى .. لصعدت أرى ما يستغرقه بعيدًا عنا ؟ .. إنه لم**

يعد ينام إلا لمامًا .. !

بدرية : ألن تُوفِّرى على نفسك هذا القلق يا أمى ؟! .. أما تكفيك ثلاثون عامًا .. من الاهتمام بنومنا وصحونا ؟! .

الأم : إن بدر الدين يريبنى بما يفعل فى حجرة الكيمياء فوق : كتب قديمة وعمل دائب .. كثيرًا ما رأيتكما تتسارّان ، ثم تسكتان حالما تريانى .. أنتما تخفيان عنى شيئـًا .. !

بدرية : (تريد أن تحسم الحديث) يريد بدر الدين أن يفرغ من ابتكار لون جديد ، يفاجئ به نُسَّاج أقمشة القَباطِى والدمِيطى ...

الأم : بدر الدين ليس بالرجل الذى يستغرقه اختراع الأصباغ ، وقد نزل الفرنسيس بجيزة دمياط منذ يومين ... أهل دمياط تركوا أعمالهم .. وقد توترت نفوسهم .. ثم ينسى ابنى هذا البلاء الوافد ؟! ... لا ... هناك شىء .. !

قطر الندى : لماذا تتركين والدتك للقلق يا بدرية ؟! .. هناك أمور غامضة تشغل أخاك ! .. لقد رآه أبى يتعاون مع بطرس الصراف ، ومعين الدين النساج ، فى نقل كتل غريبة الشكل من الخشب إلى شاطئ النيل ..

الأم : (لقطر الندى) الناس كلهم يعرفون ما يشغل ابنى ، وابنتى تخفى عنى كل شىء ! .. منذ أخذ الوباء منها ابنها وزوجها ، وهى لا تكترث بأن يأكلنى قلق أو هَمٌّ ! ..

بدرية : (لوالدتها ، وقد استاءت من تعريضها بها) بل أنت التى لا تستقرين على حال ، منذ ترامت إلينا أخبار خروج حملة الفرنج من أوربا ! .. إنك تحطمين نفوسنا بهذا الجزع المُمض ! ..

الأم : (فى ألم ، وقد آلمها تأنيب ابنتها) لو عِشْتِ العمر الذى عِشْتُه ، وعانَيْتِ

بعضَ ما قاسَيتُ .. لوَفّرْت على نفسك هذا الحديث المتسرع ! .. كم جنت علينا سكنانا هذا البلدَ عند مدخل النيل ! .. سيظل كل عدو يعتبر دمياط مفتاح مصر ، فناخذ نحن دائمًا .. أولى الضربات وأقساها ... (تسكت بدرية إحساسًا بمقدار الجرح الذى أصابت به نفس أمها) .

قطرالندى : (لفاطمة ، فى انبساط تحاول به تخفيف التوتر) معظم أهل البلد لا يشاركونك هذا الجزع يا عمتى ... الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ ، يعسكر بجيوش المماليك القوية فى البر الغربى ، حيث نزل الفرنج قبالته ... وفرسان بنى كنانة الأشداء ، يحرسون أسوار البلد هنا .. ولا يغفلون عن أبراج البرّ الشرقى خارجها .. إن هى إلا معركة واحدة ، تقذف جيوشنا بعدها بالفرنجة إلى البحر من حيث جاءوا ...

الأم : تتحدثين يا صغيرتى .. كأنما لا ينقصك إلا رمح وحصان ! .. (متنهدة) لقد حاصَرَنا هؤلاء الفرنج .. منذ ثلاثين سنة .. أحد عشر شهرًا ، لا يردهم عنا كل ما بذلته الجيوش ... وكانوا ينوون مواصلة الحصار ، لولا ثقتنا بكلمة شرف منهم ، ففتحنا لهم الأبواب ... (فى أسى مرير) وبعد فوات الأوان ، حفروا فى قلوبنا أبشع المآسى ..تنطق بانعدام كل شرف لديهم ! ... هل هناك من يأمن اليوم على نفسه ، وليس بيننا وبين هؤلاء المعتدين ، سوى بحر النيل ؟! ..

قطر الندى : لن يفلحوا أبدًا هذه المرة فى اقتحام دمياط ، كما يؤكد أبى ... سلطاننا " الصالح نجم الدين أيوب " قد حصنها بأضعاف ما كانت عليه منذ ثلاثين عامًا ، رغم مرضه الشديد ... لقد ملأها ذخائر وأقوات.. تكفيها لأكثر من سنتين ..

الأم : (فى مرارة) لكنهم دخلوها فى المرة السابقة رغم كل شىء..وجللوا حياتى بالسواد ... يتّموا بدرية وبدر الدين..صغيرىَ اللذين لم يعودا يُشركانى فى أسرار حياتهما كأنما أنا غريبة عنهما ..

بدرية : هذه المرة لم تُفاجأ .. فأعددنا لكل شىء عدته !

الأم : ترددين عبارات أخيك بدر الدين ! .. ما كان أحرانا أن نترك دمياط إلى المنصورة .. منذ علمنا أن الفرنج وصلوا قبرص ، وأنهم فى طريقهم إلينا ... كانت أمامنا ثمانية أشهر ، لولا أخوك .. !

بدرية : (تغمز بعينها لقطر الندى ، محاولة تخفيف جو الحديث) يترك أخى دمياط .. وفيها قطر الندى ؟! (تضحك)

قطر الندى : (فى حياء ورنة غضب) بل وفيها مصبغته وتجارته !! (تسمع صوت باب الحجرة العليا يفتح - يلوح بدر الدين وهو يغلقها خلفه . تسرع قطر الندى إلى بدرية تجذبها ناحية غرفة الحريم) تعالى إلى حجرتك .. أسرعى ...

بدرية : (وهى تسير معها متباطئة) ومالك تفرين هكذا ؟! .. (مستنكرة فى مرح) ..نزول بدر الدين ، يقلب كيانك هكذا ؟!

قطر الندى : (وهما تدخلان) اسكتى يا شقية .. لسانك أطول منك ..
(ينزل بدر الدين ساهمًا من السلم دون أن يلحظ اختفاء بدرية وقطرالندى . تقابله أمه عند قاعدة السلم) .

الأم : ماذا حلَ بك يا بدر ؟! .. ما استغراقك فى الفكر ، حتى لا تحس بنا حولك ؟! .. ألن تبسط جبهتك هذه ؟!

بدر : (مكملاً أفكاره الخاصة) .. تلك الشَوانى اللعينة !

الأم : (مدهوشة ، وهى تحملق فى بدر) شوانى ؟! هل قلت شوانى ؟!!

بدر : لقد جاء هؤلاء الفرنج فى شوانٍ ، وحمّلوا زادهم وخيلهم فى حَمَّالات ، ووضعوا آلات الحرب فى حَرَّاقات ... وكل هذا من خشب ! .. ألفا سفينة كلها من خشب !! والنار ، يا أمى العزيزة ، تأكل الخشب ! ..

الأم : (وقد ارتجف صوتها) هل أنت على ما يرام يا بدر الدين ؟! ...ما علاقة كل ذلك ، بتلك الصبغة التى تقضى كل هذا الوقت فى اكتشافها ؟!

بدر : صبغة تسبغ على السماء لونًا قرمزيًا وهاجًا .. وتترك الأخشاب سوداء فاحمة .. !

الأم : (مسايرة ابنها ، مشفقة مما عساه يكون قد حل به) السماء والأخشاب ؟! ..أنت فى حاجة إلى راحة يا ابنى ! .. ألم تكن السلامة فى مغادرتنا دمياط ، قبل أن يأتى هؤلاء الفرنج ؟! ..

بدر : (فى استنكار) نغادر بلدنا ؟! نترك مصنع الصباغة الذى قضينا العمر ننَمّيه ، ليدافع عنه المماليك والأغراب ؟! ..

الأم : وماذا تملك أنت من أمور الدفاع ؟! .. كانت المدينة مملوءة بأمثالك من الشباب المتحمس ، عندما دخل الفرنج فى المرة السابقة .. (بأسى قاتل) ومع ذلك .. طارت رقاب الرجال أمام ذويهم .. وسيقت النساء والفتيات كالسوائم إلى المسجد ... هناك مزقوا ما عليهن من ثياب ... و ... وانقضوا عليهن كالوحوش ..لا يخجل أحدهم من الآخر ... انظر إلى ساقى ! هذا هو الثمن الذى نجوت أنا به ! ..

بدر : .. كان التسليم إذ ذاك ، خطأ لا يغتفر ! ..

الأم : يقولون إنهم قدموا هذه المرة فى جيوش جرارة كالنمل ...أليست الغنيمة أن ننجو بجلدنا ، من مذبحة توشك أن تقع ؟! ..

بدر : لو كان هذا التشكك يملك قلوب فلاحينا العامرة بالإيمان ،لما ضحُّوا إذ ذاك بثمرة كدهم وعرقهم ، فاطلقوا المياه فى الحقول .. وقطعوا طريق الفرنج ، فحصروهم ، حتى أفناهم آباؤنا ..

الأم : أخشى الحصار يا بدر الدين .. لقد أكلنا الجيف ... كان لدنيا كلب

عجوز ، لا أنسى يوم سلخه أبوك ! .. ظَلَلْتُ ليلتين أتقيأ ، وفى اليوم الثالث ....

بدر : (مقاطعًا عودة أمه إلى ذلك الماضى الذى يملك عليها حياتها) **لا .. لن أترك دمياط ... بل ..** (يتوقف مفكرًا . ينظر إلى والدته ليرى أثر كلماته القادمة عليها . تنظر إليه وقد نسيت ذكرياتها ، مترقبة كلمته) **أماه .. سأعبرالنيل ! ..**

الأم : (فى جزع ، وقد فاجأها قرار ابنها) **طريق المنصورة لايحتاج إلى عبور النيل ! .. إلى أين تذهب ؟!**

بدر : **إلى معسكر جيش الأمير ابن شيخ الشيوخ ، على الضفة الأخرى ! .. يجب أن أبذل جهدًا ، حتى لا يُضـرَب الحصار حولنا .. !**

الأم : (فى جزع شديد) **تلقى بنفسك إلى الموت ؟!!**

بدر : **حتى لا يدهمنا الموت هنا !** (فى لهجة أخف وقعًا) **يجب أن أكون قريبًا من شوانى الفرنجة الراسية هناك ..**

الأم : (يائسة) **عدنا ثانية إلى الشوانى ؟!**

بدر : **إن سفنهم إذا احترقت ، امتنعت عنهم الإمدادات .. واضطروا إلى الرحيل ..**

الأم : **وهل تظن أن أولئك المماليك المغرورين ، سيقبلونك بين صفوفهم على الضفة الأخرى ؟! .. إن قائدهم ابن شيخِ الشيوخ ..ليس فى حاجة إلى جاهل مثلك بفنون الحرب ، ليكون عبئًا عليه ...**

بدر : **بل هو الذى أصبح عبئًا على الجيش ، منذ لعبت به الأطماع .. ووجد نفسه أقوى رجل فى مصر بعد مرض السلطان ... إن الأتابك ابن**

شيخ الشيوخ .. يقف أمام دمياط بجسمه ودرعه وسلاحه ،لكنه فى قصر حفيد صلاح الدين المريض ، بروحه وقلبه وأحلامه ... هل نترك الأمر جميعه بين يدى أمير .. لا تشغله إلا الرغبة فى الانقضاض على العرش .. ولو ضحَّى بدمياط وأهلِ دمياط ؟! ..(يخفف من حماسته . يقول فى حزم) ... أمى ... أعدِّى لى طعامًا يكفى يومًا وليلة ...

الأم : (باكية ، فى محاولة أخيرة قوية للتأثير عليه) بينما أُمنى نفسى أن أفرح بزفافك إلى فتاة كقطر الندى .. تندفع هكذا بغير تبصر إلى مصير مجهول ! ..

بدر : (صارخًا فى انفعال ، وقد ضايقه عناد أمه) ... إذا لم يرحل هؤلاء الفرنج .. إذا لم يعودوا دون أن يدخلوا دمياط .. فما جدوى الأمل فى أفراحنا الصغيرة ؟! .. سنفقد كل شىء .. المصنع ..والتجارة ... والحب أيضًا ! ..

بدرية : (تخرج من حجرة الحريم مستطلعة) بدر الدين .. لا تصرخ هكذا فى وجه أمنا ! ..

بدر : (لبدرية ، محتجًا) تحاول أن تـُقْعِدَنى عن المشاركة فى الدفاع عن بلدنا ! ..

الأم : (لبدرية ، صارخة) يريد أن يعبر إلى الضفة الأخرى ... سنفقده كما فقدنا أباه ! ..

بدر : بل أريد ألا نفقد دمياط ، كما سبق أن فقدناها ! ..

الأم : وماذا تستطيع وحدك أن تفعل ؟!

بدر : أنا لست وحدى .. إن شباب البلد جميعًا ، يتحفزون معى للانتقام لما حل بك .. بأبى .. بأهل دمياط جميعًا ! ..

الأم : (باكية) أنت يا من كنت أرحم الناس بى ؟!

بدر : هذه فرصتنا للثأر ، من هؤلاء الذين عادوا تحت إمرة ملك مغرور .. جعلوا منه قديسًا ، وزعموا أن الله أمره فى حلم .. بالاعتداء على الآمنين ! ..

بدرية : (فى هدوء لا يتناسب مع ثورة أمها) لم تخبرنى أبدًا أنك ستذهب إلى الضفة الأخرى ! ..

بدر : يجب أن أجرب هناك نتيجة تجاربى .. !

الأم : (فى غيظ من عناد ابنها) هل ستصبغ بيارق جيشنا بصبغتك الجديدة ؟! .. (لبدرية ، فى سخرية وضيق) أو لعله سيصبغ الشوانى .. هذه التى لا يفتأ يتحدث عنها كالمجنون ! (يسكتان ...) أم ...(فجأة لبدر) أم كنتما تخدعانى أنت وأختك ؟! .. (تردّد نظرها بينه وبين أخته) أيتعلق الأمر بالصباغة حقًا ؟! ..

بدر : ... بل بالنار ! ..

الأم : (صارخة) أنت تجرى تجارب على النار ... ؟! هنا ... ؟! فى البيت ؟! (لبدرية) أتسمعين يا بدرية ؟! ..

بدرية : (متهربة) إن بدر الدين خير من يقدرّ مسئولية ما هو مُقدِم عليه ... (تحس بخيبة أمل أمها ، لأنها – أى بدرية – لم تنضم إلى صفها ، فتقول مجاملة) .. إنه لن يتركنا ، ونحن فى حاجة إلى حمايته .. ! (تقف الأم صامتة ، وقد أعجزها أن تفهم ما يقصده ابناها ، بل أخذت تشك فى جدية مؤازرة بدرية لها – تبزغ فى ذهنها فكرة مفاجأة ، فتندفع إلى باب حجرة الحريم حيث توجد قطر الندى) .

الأم : (لقطر الندى ، دون أن تدخل) تعالى يا قطر الندى .. تعالى

انظرى ..قد تنجحين أنت حيث فشلنا نحن ..

بدر : (لقطر الندى ، وقد أقبلت على استحياء ، وهو يجاهد حتى يكون رقيقًا) أرجو ألا تنضمى إليهما ... قد أتغلب على اثنين .. ولا أقدر على ثلاثة ...

بدرية : (فى روح فكهة) بل قل : قد أتغلب على أمى وأختى ، ولا أتغلب على قطر الندى !

الأم : (باكية) أطلبى منه يا قطر الندى أن يبقى معنا ... لأجلك أنت إن لم يكن لأجلنا نحن ...

بدر : لماذا هذا الحرج يا أمى ؟! .. لن تتردد جارتنا العزيزة .. فى الموافقة على أن تتيح لى فرصة .. أنال فيها بطولة ! .. (فى لهجة ذات معنى ..) لعل والدها يرى بعدئذ .. أن يضع حدًا لتردده ، ويجدنى أهلاً لها ! ..

الأم : سأقوم الآن أطلبها لك ثانية من أمها .. والدها لم يصرح بالرفض أبدًا ...

قطر الندى : رجال دمياط لا يشغلهم الآن يا عمتى ، إلا أن يصبحوا أبطالاً ..
(تزداد حيرة الأم أمام إجابة قطر الندى ، فتسرع بدرية إلى حسم الأمر)

بدرية : (لأمها ، فى رنة حاسمة) أعتقد يا أمى .. أن عبور بدر الدين إلى الضفة الأخرى ، ضرورة عاجلة .. !

الأم : (مصدومة) تتخلين عنى أنت أيضًا يا بدرية ؟! .. يا لجحود الأبناء ! ..
(ترتمى باكية على وسادة) لم يبق لى أحد فى الدنيا ...

بدرية : (فى محاولة صابرة للتخفيف عن أمها) **يجب أن يذهب ليجرب هناك قذائف نار ، وجد تركيب بعض عناصرها فى كتاب قديم .. واهتدى فى شهور اعتكافه الطويلة ، إلى بقية العناصر ..** (تواصل الأم نشيجها) .

بدر : **أمى ..** (يجلس بجوار والدته ليطيِّب خاطرها ، بعد أن شاهد انهيارها أمام تصميمه) **هل ترضين أن نترك بقعة من أرض بلدنا الغالية ، تطؤها أقدام غزاة معتدين ، وفى يدنا سلاح رهيب .. تعبت طويلاً حتى أهتديت إلى سره ؟! ... لقد صنعت النار الإغريقية ، التى تحرص بيزنطة على سرها منذ أربعة قرون !**

قطر الندى : (فى حماس) **هذا نبأ عظيم ، لابد أن أحمله طائرة إلى والدى ! ..**

بدرية : (ضاحكة) **وغدًا تقولين : أنا زوجة المكتشف العظيم ، بدر الدين ! ..**

بدر : (لبدرية مبتسمًا) **يكفى أن أسمع تعليقاتك الضاحكة يا بدرية ، فأثق أن أمورى تسير على ما يرام مع جارتنا ! ..**

الأم : **وكيف اطمئن أنا ، أن أمورك ستسير على ما نَروم جميعًا يا ابنى ؟!**

بدر : **لن أعبر النيل قبل منتصف الليل ، وسأكون بعيدًا عن كل مصادر الخطر ..** (يلتفت إلى بدرية) **اذهبى يا بدرية مع جارتنا .. فما أحب أن يقلق عليها أهلها ...**

قطر الندى : (للأم ، وهى تتأهب للخروج) **ودعى القلق يا عمة .. وليحفظ الله السيد بدر الدين .. لك ولبدرية ...**

بدرية : (مبتسمة لقطر الندى ، وهى تأخذ سراجًا ، وتتجه معها إلى باب الطريق) **ولك أنت قبلنا يا ست قطر الندى** (تخرجان) .

(تسمع فى الطريق أصوات أقدام تجرى) .

بدر : (لوالدته) **لماذا تستغرقك الهموم هكذا يا أمى .. تذكَّرى أنه ليست لنا إلا حياة كريمة .. أو ميتة كريمة .. ولا وسط بينهما ! ..**

(تتكاثر أصوات الأقدام الجارية فى الخارج . تختلط بصوت عربات تمرق مبتعدة . ثم تترامى صيحات بعيدة متفرقة)

الأم : **هل يمكن أن تنتزع من قلب الأم خوفها على ولدها ؟ ... أنا لم أفرح كثيرًا فى حياتى يا بدر الدين ...**

بدر : **أمسحى دموعك .. ولتملأ الشجاعة قلبك ... فكل عربى سيفخر بما اكتشفت ! ..** (يقوم ويدخل الحجرات الداخلية) .

(تتكاثر أصوات الأقدام المهرولة فى الطريق ، وتصبح الصيحات المتفرقة ضجيجًا فزعًا متصلاً ، تتخلله أصوات عربات تقترب ثم تبتعد فى سرعة . تنسى الأم دموعها ، وتقف وقد ركزت كل حواسها فى أذنيها . يعود بدر الدين بشمعة مضاءة ، فيشعل الشمعة الضخمة المستقرة فى الشمعدان ، وسمعه وبصره موجهان ناحية الطريق)

الأم : (فى قلق عنيف) **ما هذا ؟!**

بدر : (مندفعًا نحو النافذة المجاورة لباب الطريق . يزيح الستارة ، ويتطلع إلى الطريق) **يا الله .. الطرقات ملآى بأهل المدينة ! .. إنهم يهرولون فزعين .. إلى أين يتجهون ؟** (يترك النافذة ويفتح باب الطريق) **أغلقى الباب خلفى .. سأذهب لمرافقة أختى وقطر الندى وسط هذا الزحام ...**

(قبل أن يخطو إلى الطريق ، يندفع من الباب بطرس الصراف ،وقد ظهر فوق عينه اليسرى أثر جرح كبير غائر ملتئم . يعترض طريق بدر الدين) .

بطرس : (فى عصبية) **أنتم لا تزالون هنا ؟ .. الفرار الفرار ...**

بدر : لماذا تبدو على هذا الحال يا بطرس ؟! ... ماذا حل بالمدينة ؟!

بطرس : الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ ...

بدر : (مقاطعًا فى لهفة) ما له ؟!

بطرس : انسحب ! ..

بدر : (مردّدًا فى غير تصديق) انسحب الأمير ابن الشيخ ... ؟!

بطرس : (فى سرعة واضطراب) أعدّ جسر سفن من الشاطئ الغربىّ إلى هذا الشاطئ ، وأتم الانسحاب بمماليكه كلهم ..

بدر : (فى إحساس عميق بعظم الكارثة) وتركوا دمياط مكشوفة لجحافل الفرنج !؟

بطرس : فوجئنا بمن يخبرنا أن ابن الشيخ عبر بفرسانه ، على مسيرة ساعتين من هنا ... وقيل إنه فى طريقه إلى أشموم طناح ،حيث يرقد السلطان مريضًا ... !

بدر : (فجأة) هل مات السلطان ؟ ... إن انسحابًا كهذا ، لا يكون إلا سعيًا وراء العرش .. !

بطرس : (فى نفس العصبية) لا ندرى .·. بادروا بالفرار ... فرسان بنى كنانة وجدوا أنفسهم وحدهم فى المعركة ، فأخذوا ينسحبون هم أيضًا ... خلال دقائق ستخلو المدينة منهم .. بل ستخلو من أهلها جميعًا .. !

الأم : (وقد أدركت الموقف) ابنتى بدرية ... ابنتى .. (فجأة) أنظرا ... (تشير إلى النافذة العليا ، وقد انعكس عليها لون النار الأحمر . تترامى من الباب ومن البهو غير المسقوف أضواء يعكسها حريق هائل . تتزايد

الأضواء تدريجيًا) .

بطرس : أشعلوا النار فى مخازن الذخيرة والزاد ...
(صوت عربة تقترب ، لكنها لا تمضى كغيرها ، بل تقف بالباب . يندفع معين الدين النسّاج إلى الداخل)

معين : لماذا تقفون هكذا ؟ أين مركبتكم يا بدر ؟

بدر : لم يتم إصلاحها بعد ..

معين : أسرع إذن بوالدتك .. لها مكان فى مركبتنا .. أسرع بها ..

بدر : (لوالدته فاطمة) هيا يا أمى ... أسرعى ..

فاطمة : (وهى تُنفّس بالبكاء عن خوفها وقلقها) سأبقى حتى تجىء بدرية ... أحضر بدرية ...

بدر : نستطيع الهروب عدوًا ، أما أنت .. فلابد من عربة تحملك ... اذهبى مع معين الدين ...

فاطمة : (وقد اجتاحها القلق) وبدرية ؟! ...

بدر : قلت اذهبى .. (لبطرس ومعين وهو يدفع أمه برفق ناحية الباب) خذاها معكما .. سأجد أختى وألحق بكم ..(يخرج عدوًا ويترك أمه متشبثة فى مكانها على عكازها) .

بطرس : (وهو يجذب الأم برفق ، فتسير معه مترددة وهى تستند على عكازها) هيا يا خالة .. لا وقت للعويل ...

معين : (لبطرس وهما خارجان) المدينة أصبحت مفتوحة للأعداء ... عَبَرالأمير

النهر مع مقدمة الجيش .. ولم يكن فى المؤخرة إلا صغار الجند ، فلم يفكر أحدهم فى إغراق الجسر الذى عبروا عليه ..

بطرس : سنطمئن على أهلنا .. ثم نعود لمقاومة الفرنج (للأم) أسرعى ...

فاطمة : (باكية) دمياط .. دمياط تضيع ثانية ... كل شىء يضيع ثانية ..
(تخرج ونحيبها يتعالى . يخفت صوتها شيئًا فشيئًا مع صوت عربة تبتعد مسرعة ..)
(ترتفع موسيقى تعبّر عن الصخب والقلق . تتعالى ألسنة اللهب الظاهرة من النافذة . تخفت الموسيقى ثم تنقطع عندما يُفتح الباب فى عنف ، ويدخل بدر الدين جريًا وخلفه بدرية . يقفز بدر الدين السلم عدوًا)

بدر : النار ... كدت أنسى كرات النار ..
(تقف بدرية أسفل السلم ممسكة بحاجزه تهزه ، وهى تصيح فى عصبية بالغة)

بدرية : أيها المتهوِّر ... إلى أين ؟!

بدر : قلت لك النار .. (يختفى فى الحجرة أعلى السلم)

بدرية : لم يبق فى دمياط أحد سوانا ...
(يظهر بدر خارجًا من حجرته ، وهو يحمل ربطتين ، ظاهر بكل منهما عدة كرات من النحاس)

بدرية : لن ندرك أمى أبدًا ... انزل ... أسرع ...

بدر : (وهو ينزل فى بطء لثقل حمله) سيرعاها معين الدين النساج وبطرس الصراف ... (فجأة ، وقد تذكر أمرًا أقلقه) هل أنت واثقة أن أهل قطر الندى ، لم يكونوا قد تركوا دارهم ؟!

بدرية : قلت لك تركتها على درجات بابهم ، واندفعت عائدة وسط الزحام .. حتى وجدتنى ...

بدر : ... وإذا كانت لم تجدهم .. ؟!

بدرية : لا تخفنى .. لا شك أنها هربت الآن مع الهاربين .. (وهى تتأمل الحمل الذى يحمله أخوها) .. لكنك لن تستطيع إدراكها ، وأنت مثقل بكل هذا ...

بدر : احملى معى بعضها إذن .. (قلقًا) ما كان يجب أن تتركى قطرالندى إلا بين يدى أمها ...

بدرية : (وهى تتناول أصغر الربطتين) ... يا لهواجس قلبك المريض بقطر الندى ! (تنظر إلى الربطة التى تحملها) ما أثقلها ...

بدر : وما أثقل الموت الذى تحمله !
(يرتفع صوت شخص يجرى فى الخارج)

الصوت : الأعداء عبروا بحر النيل .. الفرنج دخلوا دمياط .. الفرار ...

بدرية : (تقف بعد خطوات قليلة ، وقد أحست بالثقل الفادح لما تحمل) لا أمل فى الفرار ونحن نحمل كل هذا !

بدر : منذ علمنا بأمر هذه الحملة ، قبل عام ونصف عام ، وأنا أُجرى تجاربى لصنع هذه الكرات .. لن أتركها أبدًا ..

بدرية : الدقائق ثمينة ... الفرنج يحتلون البلد .. (تتوقف) لا أستطيع مواصلة السير وكل هذا يثقلنى ...

بدر : (فجأة) اسمعى يا بدرية ...

بدرية : ماذا أيضًا ؟! .. أنا أعرف لهجتك هذه ! .. دائمًا تخفى وراءها اقتراحًا جنونيًا ...

بدر : لن نهرب مع الهاربين !

بدرية : (فى سخرية ويأس) ونقدم أنفسنا هدية للقادمين ؟!

بدر : سنختفى فى المستنقعات المحيطة بالبلد ! ..

بدرية : ... لكى نموت غرقًا فى طينها ؟!

بدر : هذه فرصتنا يا بدرية !..سنجرب سلاحنا من هناك ..لقد نصبت آلة قذف هذه الكرات على الشاطئ بمعاونة أصدقائى وأخفيتها بنبات الحَلْفاء . وها هى سفن الأعداء ستقبل ، فتصبح فى مرمى نارنا ... سنبدأ المعركة من المستنقعات ! ..

بدرية : ونبقى هناك وحدنا ؟!

بدر : سنجد معنا كثيرًا من شباب دمياط ورجالها ... سننظم هناك صفوفنا لاستعادة دمياط ، واقتلاع المحتلين ... لن ندعهم يستريحون ... لقد دخلوا دمياط فى غفلة من الزمن ومنا ... سننتزع منهم هذا النصر الذى أخذوه سهلاً ، ونقلب ما ظنوه نصرًا لهم ، هزيمة نكراء .. اتبعينى ! ...

(يخرجان من باب الطريق)

ينزل الستار

المنظر الثانى

(نفس المنظر السابق - بعد نصف ساعة)
(يُسمع صوت ضعيف ينادى من الطريق فى ألم)

الصوت : (مناديًا ...) **بدرية ... بدر الدين ..**
(لحظة صمت ، يتضح الصوت أكثر)
بدر الدين ... بدرية ... بدرية ...
(يُدفع باب الطريق من أسفله فى بطء شديد ، كأن شخصًا على أرض الطريق يحاول فتحه . عندما يُفتح ، نرى قطر الندى تحاول جاهدة أن تقف ، والدم يسيل من فمها ... مرهقة محطمة ، مذعورة منهارة . تتلفت حولها وهى تترنح ، فتستند إلى الأثاث والجدران . تنادى وقد هزتها صدمة عصبية عنيفة ، فكأنما تهذى ...)

قطر الندى : **... عمتى ... بدرية ... لقد رأيت بدر الدين وبدرية ... هل كانا يدخلان أم يخرجان ؟! ... كيف هربتُ من الوحوش ؟ ...** (تنادى فى ضعف) **.. بدرية ..** (لا تسمع جوابًا ...) **لا أحد .. رأيتهما ولم يريانى ... أخفانى عنهما ظلام الطريق ...** (تتذكر) **.. آه .. لقد كانا يجريان ... يبتعدان ... تشاجر الوحوش فزحفت مبتعدة ... فقدت وعيى فى الظلام بجانب الطريق ...**
(تتضح أصوات جياد تقترب)
الوحوش ! ..
(تتقدم مستجمعة كل قواها وهى تتألم وتتأوه)
تركنى الجميع .. تركونى للوحوش ! .. لابد من سلاح ... سكين أقتلهم به .. أو أقتل به نفسى قبل أن يمسنى أحدهم ...
(تتحامل على نفسها ، تقف فتتعثر ، لكنها تكافح متجهة إلى غرفة الحريم الداخلية . ما إن تدخلها حتى يُفتح باب الطريق فى عنف ، ويدخل البارون فيليب دى روزاريو ، قائد فرسان بيزا ، وخلفه تابعه جاستون يمسك يده اليمنى بيده اليسرى ، ويرفعها ليخفف ألمًا بها)

فيليب : (صائحًا فى حدة ، وهو يتحسس بأصابعه خدوشًا مستطيلة تمتد على طول خده الأيسر) **أين ذهبت تلك الشرسة ؟!** .. (يمد أصابعه أمام عينيه يتأمل الدم الذى يلوثها ، ثم يلتفت إلى تابعه جاستون) **كان عليك أن تمسك بيديها ، قبل أن تنشب أظافرها المسنونة فى وجهى يا جاستون ! ..**

جاستون : **حاولت يا سيدى ، لكنها عضتنى !** (مبالغًا ، يمد يده فى ألم إلى سيده) **آه ... لم أحسب المصريات تقاومن بكل هذه الوحشية ! .. لقد كادت تقضم إبهامى .. !**

فيليب : **ليتها قضمت عنقك أيها التابع المفلس الذى لا نفع فيه ! .. تتركها تهرب .. لتمتع نفسك بمرآى مشاجرتى مع ذلك المتطفل ؟!** (يشير إلى غرفة الضيوف) **فتش هذه الحجرة .. لابد أنها فى مكان ما هنا ، فآثار الدماء تنتهى أمام باب هذا البيت ..**

جاستون : (وهو يتجه ناحية غرفة الضيوف ، أثناء اتجاه فيليب إلى السلم ليرتقيه) **لولا ذلك الفارس الفرنسى المتعجرف الذى تصدى لنا ، لما أفلتت منا أول بضاعة نبدأ بها تجارتنا ...** (ينتزع الستائر المسدلة على الباب ، فتقع على الأرض . يركل الباب بقدمه ، ويدخل ، ثم يصيح بسيده الذى أخذ فى ارتقاء السلم) **لا أحد .. ضاعت جارية تساوى فى أسواق أوربا عشرة أكياس من الذهب !** (فى احتفال صاخب) **ولكن يا سيدى .. هنا فراش رحب .. يمكن لاثنين أن يتمرغا عليه !**

فيليب : **إذا لم نجد الفتاة يا جاستون ، فلا نفع لى من فراشك ! .. فتش غرف الداخل ...** (يدخل فيليب غرفة بدر الدين العليا)

جاستون : (وهو يتجه إلى غرفة الحريم) **السيد فيليب دى روزاريو قائد فرسان بيزا .. وأشطر تجارها ، لا يعود أبدًا صفر اليدين ..**(يشير إلى نفسه) **لابد من ثمرة لما تجشمه مع تابعه جاستون فى هذا السفر الطويل ..** (يفتح الباب ويتطلع إلى الداخل . يصيح فى فرحة انتصار

مبالغ فيه) .. آه .. وجدتها يا سيدى ! .. ها هى أخيرًا .. (يخرج وهو يجر قطر الندى ، ساحبًا إياها على الأرض ، ممسكًا بها من ذراعيها ، وقد فقدت وعيها . يقفز فيليب نازلاً السلم فى سرعة .يندفع إلى تابعه)

فيليب : إلى أين تسحبها ؟!

جاستون : (مشيرًا برأسه إلى حجرة الضيوف) إلى الفراش الواسع يا سيدى ! ...

فيليب : (مشيرًا إلى الباب الخارجى ، وهو يُنَحّى جاستون عن قطر الندى) أغلق باب الطريق ، وقف داخله لا تسمح لأحد بالدخول . لو شمَّ هؤلاء الفرنسيون الذين تموج بهم البلدة ، رائحة أنثى .. وقد أسكرتهم نشوة إحساسهم بأن دمياط أصبحت ملك يمينهم ،لطلب مائة منهم مشاركتى فيها .. !

جاستون : ولكن إذا ألقى سيدى بعَظْمَةٍ إلى تابعه المخلص جاستون ، فلن يقول لا .. !

فيليب : (بتفاخر) هذا صيدى .. لكننى لن أبخل عليك بتذوقه .. (وهو ينحنى ليحمل قطر الندى بين ذراعيه) لكن احذر أن تطل من الباب - كعادتك - وأنا بالداخل ! .. (يشير برأسه إلى غرفة الضيوف - يضحكان) . (تئن قطر الندى)

جاستون : لا تأمن لها إذن يا سيدى .. فى اللحظة التى تحسبها قد أصبحت فيها ملك يمينك ، قد تقضى عليك ! .. (تفيق قطر الندى ، وتقاوم فى ضعف محاولة فيليب لحملها) .. لقد أخذت تفيق ،قبل أن نهنأ بوقوعها بين أيدينا يا سيدى !

قطر الندى : (تئن) أبى .. آه .. أين أنا ؟! (تتخلص من ذراعىَ فيليب . تجلس . تنظر مشدوهة إلى فيليب وجاستون)

فيليب : (وهو يفكر فى أفضل طريقة لحمل قطر الندى) **لن تلبث أن تغرس فينا أنيابها ومخالبها ..**

جاستون : **أمسك ذراعيها يا سيدى ... سأمسك أنا ساقيها ..**
(يتناول ساقيها قبل أن يبدى سيده أية بادرة على الموافقة – ترفسه قطر الندى ، فتطيح به وهى تصرخ فى فزع ، أثناء زحفها مبتعدة فى سرعة نحو باب الطريق)

قطر الندى : **اتركنى .. ابتعد .. أيها الوحش .. دعنى ...**
(يقف الرجلان وقد أذهلتهما مقاومة الفتاة التى ظنا أنها فقدت كل قدرة على المقاومة . تلتفت قطر الندى إلى باب الطريق ، ثم تقفز واقفة ، وتفتحه صائحة)
النجدة ... أغيثونى ...
(يندفع خلفها الرجلان ليمسكا بها ، وصراخها يملأ البيت ويترامى عاليًا فى الطريق)

جاستون : **تعالى يا " مفعوصة " ... هل ستجدين خيرًا منا ! ...**
(يحاول جذبها إلى الداخل ، وقد تشبثت هى بقائمتى الباب المفتوح ، ووجهها إلى الطريق . لا تكف عن الصراخ)

قطر الندى : **اتركنى .. دعنى .. أغيثونى ...**
(يُسمع صوت جوادين يقبلان ركضًا ، ثم يتوقفان أمام الباب . وسرعان ما يظهر بالباب فارس فى مواجهة قطر الندى . يرفع يديه ليمسك بهما ذراعيها ، ثم ينتزع قبضتيها من الباب . يدفعها فى رفق أمامه إلى الداخل ، وقد تقهقر جاستون لمرآه – إنه السير جوفروا دى سارجين) .

سارجين : (بغير أن يلتفت خلفه) **قيّد الجياد وادخل يا مارسيل ..**
(يغلق الباب بقدمه عدا فتحة صغيرة لدخول مارسيل ، ويضع قطر الندى خلف ظهره مستندة إلى الباب . يواجه فيليب وجاستون . لا يلبث مارسيل أن يدخل ، ويُحكم إغلاق الباب)

(يقول سارجين وهو يشير إلى قطر الندى)
لماذا تعاملان الجارية بهذه الوحشية ؟!

فيليب : (غاضبًا) أنت ؟! أتيت ثانية وراءنا ؟! قلت لك هذه من نصيبى !

سارجين : (ببرود) ما دُمْتَ لا تروق لها يا قائد فرسان بيزا ، دعها لغيرك ... !

فيليب : (محتدًا) هذا إخلال منك بأصول الحرب .. (فى تهكم خفىّ) يا مستشار ملك فرنسا المقدس .. !

سارجين : الأسلاب لنا نحن الفرنسيين أولاً ! .. إننا نقدم أكبر التضحيات .. وأبناء بلدنا يُكَوِّنون معظم فرق هذه الحملة الهائلة ! ...

فيليب : (حانقًا) لأن لديكم أعدادًا هائلة من السذج ، الذين يعتقدون فى قداسة ملك ، تحكمه أمه المتعصبة !

سارجين : (وقد أخذ يغضب) أمسك لسانك فالملك قادم إلى هنا ! ... (إلى مارسيل) اذهب يا مارسيل ، فجلالته ينتظر منا خبرًا ... أخبرهم أن هذه أفضل الدور التى نجت من التخريب ...

مارسيل : (وهو يخرج) سمعًا يا سيدى (يخرج)

فيليب : (مندفعًا فى حنق) وهل تحسبنى أخاف ملككم ، ولا سلطان له عليكم ، أنتم نبلاء بلده ؟! ...

جاستون : (فى قلق ، لسيده فيليب ، فى صوت لم يفلح فى أن يجعله همسًا) لنحسم الأمر ! .. ستاتى مع الملك حاشيته ، ويضيع منا الصيد ! ..

سارجين : (ملتفتًا إلى قطر الندى ، يقول كردّ على جاستون) لا تخافى .. لن أُشْرِك معى تابعى ، كما يبدو أن هذا التاجر يريد أن يفعل ! ..

قطر الندى : (وقد فطنت إلى أن حاميها ليس إلا ذئبًا آخر ، تصرخ وهى تنسحب وَجِلة لصق الحائط فى اتجاه غرفة الضيوف) **وحش ... كلكم وحوش ...**

(يحاول سارجين إيقافها) ... **دعنى ...**

(يقترب فيليب منها) ... **ابتعد عنى ...**

(تندفع فجأة إلى غرفة الضيوف . يندفع الجميع خلفها . يتصدى سارجين لفيليب وجاستون) .

سارجين : (آمرًا) **اتركاها ! ..**

(يقف فيليب وجاستون وقد فوجئا بلهجته الحاسمة . يَحُول سارجين بذراعيه بينهما وبين اللحاق بقطر الندى ، فيتيح لها بذلك أن تدخل الحجرة)

سارجين : (ملتفتًا إلى قطر الندى ، يقول لها مهددًا) **إياك وفتح النافذة !..تابعى خارجها مع الخيل ...**

(تغلق قطر الندى الباب فى وجهه بعنف)

(يواجه سارجين فيليب وجاستون بلهجة حاسمة)

يجب أن يجد جلالته الدار خالية معدة لاستقباله ! ...

فيليب : **أنت تطردنى ؟!**

سارجين : **هذه دمياط فسيحة متسعة أمامك ..** (ساخرًا) **أنشىء فيها ما كنت تحلم طوال الطريق بافتتاحه من مخازن ومتاجر ..**

فيليب : (محتدًا) **وهذه مصر أمامك ، اقتطع لنفسك منها إمارة تعوضك عن إمارة الشام ، التى طردك منها المصريون منذ خمسة أعوام ! ..**

سارجين : **مهما أخذت فلن آخذ إلا حقى ! .. قضيت هذه السنوات الخمس أجمع الجيوش فى فرنسا ، وبغيرى لن يستطيع أحدكم التفاهم فى هذا البلد ! ..**

فيليب : (صائحًا فى احتقار) **كفاك تفاخرًا بقدرة لن تجديك ! ما نفع معرفتك باللغة العربية ، ونحن لا نجد من أهل هذا البلد من نتفاهم معه ؟!**

سارجين : (صائحًا ، وهو يشير إلى جاستون) **يحسن بك أن تخرج من هنا مع هذا الصعلوك فورًا ! ..**

فيليب : (لتابعه جاستون) **أترى كيف يستفزّنى يا جاستون ؟! ... هل يلومنى أحد لو قتلته الآن ؟!**

سارجين : **يبدو أنه أنت الذى يصر على ملاقاة الموت ، فى يوم هذا النصر الذى أتينا به سهلاً إليكم ! .**

فيليب : (مجردًا سيفه) **أيها النبيل المفلس ! ..**

سارجين : (مجردًا سيفه هو الآخر) **أيها التاجر الجشع !**
(تبدأ بينهما مبارزة حامية وهما يتصايحان)

جاستون : **سيدىّ ... إنكما تفسدان يوم النصر ...**
(يستمران غير آبهين بجاستون . يدوى نفير فى الخارج ، فيفتح جاستون باب الطريق ، وما إن يطل خارجه ليعرِف جَلِيَّة الأمر ، حتى يتحول فزعًا إلى الداخل) **سيدى ... الملك ! .. قداَسَته قادم ومعه الملكة .. !!**
(تسمع أصوات جياد كثيرة تقترب ثم تتوقف . يدخل الملك لويس وشارة زهرة الزنبق البيضاء تميز ملابسه ، وقد استندت إلى ذراعه زوجته الملكة ، يتبعهم السير دى جوانفيل صديق الملك الحميم . يدخل خلفهم جوزيف وريشار تابعا الملك ، يحملان بيارق عليها رسم زهرة الزنبق البيضاء – شارة البيت المالك الفرنسى – ومعهما مارسيل)

الملك : (وقد شاهد المتبارزين) **هذا مستشارى يشترك أيضًا فى الفوضى ! .**
(يكف سارجين وفيليب عن المبارزة)

سارجين : (إلى الملك ، فى حدة) **أهل بيزا لم يكفهم كل ما منحناهم من امتيازات يا مولاى ، فجاءوا يتهجمون على الدار التى استخلصتها بشق النفس من الخراب ، لتستقر فيها جلالتكم .. !**

فيليب : (محتدًا لهذا الكذب) **هو الذى اقتحم علىّ الدار ، يريد أن يغتصب منا جارية اختفت هنا ..** (يشير إلى حيث دخلت قطر الندى)

الملك : (فى تأنيب) **تتخاصمان هنا من أجل جارية ! .. والفرسان الهيكليون يتقاتلون مع فرسان القديس يوحنا ، لاقتسام ما نجا من النار التى أشعلها الأهالى فى كل شىء ...** (يلتفت إلى من حوله) **.. الإنجليز يتبارزون مع الفرنسيين .. وكلاهما يتشاجر مع الإيطاليين ! ..** (لجوانفيل) **يا سير دى جوانفيل : أين الكونت سيرانو دى نافار قائد الفرسان ؟ .. لم أره منذ نزلنا شاطئ دمياط ... يجب أن يمسك بزمام فرسانه ، ويوقفهم عما يفعلون ...** (يصمت لِحظة . يدير رأسه إلى سارجين . تزداد نغمة التأنيب) **ولكن .. لماذا يكفون ، ومستشارى نفسه يتبارز مع قائد جند بيزا ، من أجل جارية مصرية ؟! ..**

الملكة : **نادها يا سير دى سارجين ... قل لها إننى سأسبغ عليها حمايتى ...**

سارجين : (يتأهب لمناداة قطر الندى . يتردد . يقف لحظة مفكرًا ، ثم يعود إلى الملكة ، وقد فهم من عبارتها الأخيرة أنها قد تحرمه من الفتاة – يسأل ، محاولاً أن يفهم قصد الملكة فى وضوح) **مولاتى .. إننى فى حاجة إلى خادم خلال إقامتى فى دمياط ...**

الملك : (لسارجين) **ومن قال إننا سنقيم فى دمياط ؟! .. ما إن تنتهى احتفالات النصر ، حتى نبدأ زحفنا إلى المنصورة ، ومنها فورًا إلى بابليون بالقاهرة ...**

الملكة : (فى تأكيد) **أريد أن أرى الفتاة يا سير دى سارجين ! ..**

سارجين : (وهو يتجه إلى حجرة الضيوف) **ها هى يا مولاتى .. !** (يفتح الباب وهو ينادى) **أنت يا مصرية .. تعالى هنا ..** (لا ترد قطر الندى ، فيدخل ، ثم سرعان ما يخرج وهو يجذب قطر الندى ، وقد أمسك بذراعها) **تعالى .. تريد الملكة أن تقدّر ذوقى فى انتقاء الجميلات ! ..**

قطر الندى : (وهى تحاول أن تتخلص من قبضته) **اتركنى .. !**

الملكة : (تتأمل قطر الندى) **اعترافًا بجمال ذوقك ، أؤكد لك أن هذه الفتاة تروق لى !**

سارجين : (فى سخط ، وهو لا يترك ذراع قطر الندى) **مولاتى ... أنا لم أربح شيئا من هذه الحرب حتى الآن ..**

الملكة : **إذا علمتها لغتنا ، أصبحت وسيلتى إلى التفاهم فى هذه البلاد ...**

الملك : **لن تتيح لك انتصاراتنا المتلاحقة ، أن تلقّنيها أى شىء ! .**

الملكة : (فى لهجة ذات معنى !) **أعتقد أنه لى ، ما دامت الملكة الوالدة لم تجئ معنا .. أن أتولى - على الأقل - اختيار خدمى ! ..**

الملك : (ليحسم الأمر كله) **يا سير دى سارجين : تُحسن صنعًا إذا ذهبت مع زميلك البارون فيليب ، لترشدا الكونت دى نافار - قائد الهيكليين - إلينا ...** (للجميع) **فأنتم ترون أن مشاورته أصبحت ضرورة عاجلة ... !**

الملكة : (لسارجين ، وقد كسبت المعركة) **ودع الفتاة تعود لتستريح حيث كانت يا سير دى سارجين ! ..**

سارجين : (لقطر الندى ، فى حنق شديد) **عودى .. عودى واستريحى ...** (مشيرًا إلى نفسه) **مولاتنا تريدك أن تفقدى خير رجال فرنسا ! ..** (يقول هذا ويتجه إلى باب الطريق فى خطوات غاضبة محتدة ... يخرج وخلفه تابعه

مارسيل ، ثم تُسمع أصوات خيلهما تبتعد . تكون قطر الندى قد اتجهت متعبة مرهقة إلى حجرة الضيوف حيث كانت ، وتدخل . أما فيليب ، وقد تأكد أن الفتاة لن تكون لسارجين ، فإنه يتجه إلى باب الطريق ويطل منه ، وإذ يجد أن سارجين قد مضى ، يلتفت إلى تابعه جاستون)

فيليب : **هيا يا جاستون** (يخرجان ، ويُسمع صوت خيلهما تبتعد)

الملك : (للملكة ، فى تأنيب مستتر) **ما كان يحسن أن تسبغى حمايتك على مصرية مسلمة !**

الملكة : (فى تحدَ مستتر) **وهؤلاء السفراء الذين استقبلتهم فى قبرص ، من المغول عبدة الأوثان .. ؟! ومحاولتك الاتفاق مع اسماعيلية الشام الحشاشين ؟! هل هؤلاء جميعًا مسيحيون مؤمنون ؟!** (فى تهكم خفىّ) **وفى مصر ، لم يأت مسيحىّ واحد ليرحب بنا !!**

(يدخل الكونت روبرت دى آرتوا أخو الملك ، وشارة زهرة الزنبق البيضاء تزين ملابسه)

آرتوا : (وقد سمع عبارة الملك الأخيرة ، يقول فى صخب واحتفال) .. **أخى ومولاى ... ما للملكة غير راضية ؟!**
(يدوى صوت انفجار ، ومعه صرخات بعيدة ، فيكمل آرتوا)
آه ... هذا صوت غريب على حفلات النصر يا أخى الملك .. !

جوانفيل : (لآرتوا ، فى قلق) **هذا صوت لا يُسمع يا صاحب السمو ، إلا من قذائف أسلحة الحصار ...**

الملك : (فى ثقة وتأنيب) **أى حصار ومصر كلها أصبحت عند أطراف أصابعنا .. والاستعدادت قائمة على قدم وساق لتنظيم مواكب النصر واحتفالاته ؟! ..** (لآرتوا) **ألم تر الكونت دى نافار يا أخى روبرت ؟**

آرتوا : (فى صخب ومرح ، وكأنما الأمر ليس إلا مشهدًا مسليًا غاية التسلية) ازداد جنون فرسانه الهيكليين وهم يتنازعون الأسلاب .. وغرق فرسان القديس يوحنا ، مع فرقة الإنجليز ، فى مخزن خمر ... أما عامَّة الجند والصناع ، فلولا حرسك الواقف بالخارج ينبئ عن وجودكم هنا ، لحطموا هذا البيت أيضًا ! .. (يضحك) لست أرى داعيًا لكل ذلك الإعداد للحفلات ، فكل جماعة تحتفل بالنصر على طريقتها ! ..

الملك : (جادًا لجوانفيل ، يريد أن يُشعر آرتوا بخطورة ما قال) هذه أمور لابد من علاجها فورًا يا سير دى جوانفيل . أرجو أن تحمل رجائى لمن تجدهم من القادة ، بأن يُلزِمُوا فرسانهم وجنودهم جادّة النظام ...

آرتوا : (فى لهجة تشى بالمرح ، وكأنما الملك يهتم بما لا حاجة شديدة للاهتمام به) لن يفيد الرجاء كثيرًا ، فهذا يوم نصر يا أخى لويس ! .. (يُسمع صوت انفجار آخر مكتوم) قد يكون السؤال عن سر هذه الأصوات ، أولى بعنايتنا ... (يلاحظ امتعاض أخيه ، فيقول لجوانفيل فى نفس مرحة) انطلق يا سير دى جوانفيل .. ستمتع نفسك بمشاهدة جنودنا وقد انطلقوا على سجيتهم ... (يخرج جوانفيل)

الملكة : (لآرتوا) أود لو أراك قلقًا مرة ... بساطة تناول سموك للأمور ، سَتُخِلُّ يومًا بتقديرك لها .. !

آرتوا : (للملكة ، لا يريد أن يفقد مرحه ، رغم ضيقه بلهجتها) لا .. لم نعتد هذه اللهجة المنتقدة ، من زوجة أخينا العزيزة .. (للملك) منذ ابتعدَتْ عن والدتنا ، تغير فى جلالتها شىء كثير ! ..

الملكة : أخشى على انتصاراتنا ... من يفقد السيطرة على جنده عند النصر على هذا النحو ، لن يستطيع أن يمسك بزمامهم عندما تلوح هزيمة !

الملك : لن تلوح أية هزائم يا زوجتنا العزيزة .. لقد انتصرنا ، وكان انتصارًا كاملاً ...

(يدخل مارسيل فزعًا مبتلاً ، ممزق الثياب ، مسود الوجه ، وقد احترقت بعض أجزاء ملابسه)

مارسيل : (صارخًا فى ارتياع) **مولاى .. الموت المريع يا مولاى ...**

آرتوا : (آمرًا) **أمسك زمام نفسك .. ! لماذا تبدو على هذه الحال ؟!**

مارسيل : (فى هلع وانفعال بالغين) **احترق أحد عشر من بحارتنا يا صاحب السمو ، دون أن نستطيع إنقاذ واحد منهم .. !**

الملكة : **يا للكارثة نستهل بها احتفالات النصر ... !**

مارسيل : (وقد تزايد انفعاله) **سقطت كرة مشتعلة على سطح سفينة .. وانفجرت بصوت عظيم ، فاندلع منها لهيب مريع .. نار حامية التهمت الرجال ، وصهرت الحديد ، وجعلت من سفينتهم شعلة أضاءت الماء إلى أميال عدة ...**

الملك : (فى أسى) **أحد عشر من أبطالنا .. !**

مارسيل : **... اندفَعْتُ مع كثيرين فى الماء ، نحاول تسلق السفينة المحترقة لإنقاذهم .. فرَدَّنا اللهيب .. وكادت النار تقضى علينا نحن أيضًا ..** (متذكرًا فى هلع) **يا لبشاعة رائحة اللحم الآدمى المحترق يا مولاى ! ..**

آرتوا : **... ومِن أين سقطت تلك الكرة المميتة ؟**

مارسيل : **من الفضاء يا صاحب السمو ... أمطرتها السماء من حيث لا يدرى أحد ... ولم تلبث أخرى أن عَبَرَت السماء أمام عيوننا الفزعة ...**

الملك : **ألم يذهب أحد للبحث عن مصدر هذه النار المشئومة ؟**

مارسيل : **انطلق سيدى السير دى سارجين خارج البلدة ، عَلَّه يعثر على شىء .. وقابلت السير دى جوانفيل ذاهبًا ليحقق الأمر بنفسه ... أى هول عانيناه يا مولاى ! ..** (يرى السير دى سارجين داخلاً) **.. ها .. لقد عاد سيدى ...**

(يدخل سارجين ووجهه ينطق بالحزن والكآبة)

الملك : (لسارجين) **هيه ... هل وجدت شيئًا يكشف سر تلك النار ؟**

سارجين : (بكآبة وتؤدة) **... لقد وجدت الكونت دى نافار ..**

آرتوا : (فى صخب ، محاولاً أن يخفف جو الكآبة الذى فرضته أخبار الموت) **قائد فرساننا الهيكليين البواسل ؟!**

سارجين : (بنفس الكآبة) **هو يا مولاى ...**

الملك : (قلقًا ، وقد أخذ يلاحظ ما فى لهجة سارجين من أسى) **ولماذا لا يدخل ؟!**

سارجين : (وكلماته تقطر أسى) **نُدخله يا مولاى ...** (يتطلع إلى الخارج . يصيح آمرًا) **ادخلوا ...**

(يدخل أربعة جنود يحملون محفة عليها جسد ، تصيح الملكة فى جزع ، ويندفع الملك إلى المحفة ، وينحنى فوق الجسد)

الملك : (صائحًا مختنقًا بالبكاء) **عزيزى كونت دى نافار ...**

آرتوا : (سائلاً ، وقد تخلى عنه صخبه) **هل ... هل مات ؟**

سارجين : **وجدناه فى دار خارج سور البلد .. وقد أصابته طعنة نافذة إلى القلب ..**

الملك : (سائلاً فى حزن ثقيل) طعنة سيف ؟ ...

سارجين : (وهو يبرز سكينًا قصيرًا خشنًا) بل طعنة من هذا النصل ... سكين صغير مما يستعمله فلاحو مصر .. !!
(لحظة صمت ، يقطعها صوت الملكة يملؤه الألم والكآبة)

الملكة : (للملك) هذا هو النصر الكامل يا مولاى !

الملك : (لسارجين) ألم يكن ثمة حرس معه ؟

سارجين : (فى حزن ثقيل ...) كان معه عشرة رجال ، تركهم ودخل الدار مع امرأة . ولما طالت غيبته دون أن يسمعوا صوتًا ، دفعهم قلقهم إلى الدخول .. هناك لم يجدوا إلا الجسد منكفئًا على سرير ، وقد غرق فى بحر من الدم المتدفق ...

الملك : وقبضتم على الجناة ؟

سارجين : (وقد فاجأه السؤال) الجناة ؟! .. (يهز رأسه فى كآبة بما يفيد النفى) .. كلا .. !

آرتوا : وأين الجنود الذين كانوا مع قائدنا العظيم ؟ .. (يشير إلى حَمَلة المحفّة) هل هؤلاء منهم ؟

سارجين : (يتردد لحظة) .. كلا ... (يصمت . يرى الجميع يتطلعون إليه ينتظرون منه شرحًا ، فيكمل) ... أرسلت الآخرين للبحث فى المزارع والمستنقعات ..

الملك : (قلقًا) وأين هم ؟!

سارجين : (مترددًا) لم .. لم يَعُد منهم أحد يا مولاى ...

الملك : (فى بطء) لم يعودوا ؟! ماذا تعنى بأن أحدًا منهم لم يعد ؟!

سارجين : طين المستنقعات رَخْوٌ يا مولاى ... سمعت صرخات مرعوبة ، فانطلقت فى ضوء السفينة المحترقة ، لأرى ثلاثة منهم .. يرفعون رِجْلاً خارج الطين ، فتغرس الأخرى ، دون أن يجرؤ أحد على التقدم لنَجدتهم .. فغاصوا .. حتى امتلأت أفواههم بالطين .. كأنما أرواح شريرة تجذبهم إلى باطن الأرض !
(حالما يسمع الحاضرون لفظ الأرواح ، تظهر عليهم علامات الفزع)

آرتوا : سمعت أن الأرواح .. طالما أغرقت السفن أثناء دخولها من البحر إلى النيل ..

الملك : (سائلاً سارجين ، وقد غمرته الكآبة والحزن) وبقية الرجال ؟!

سارجين : يبدو أنه لم يتعذر على مثل السكين التى قتلت قائدنا ، وبالقرب منه عشرة رجال ، أن تسدد طعنات غادرة إلى سبعة جنود ، أخفتهم عنا نباتات المستنقعات ! ..

الملكة : (مأخوذة بضخامة المأساة) ولم تعثروا على واحدٍ منهم ؟!

سارجين : رأيت أحدهم وقد برز من الحلفاء ، فلم أعرف أبشر هو أم وحش غريب .. (منفعلاً) كان الوجه مقسومًا بطعنة مستعرضة غائرة غاصت .. حتى قطعت الأنف ، والوجنتين ، وكادت تصل إلى الأذنين .. فجعلت الوجه كله فمًا واحدًا هائلاً مفتوحًا ، يفور بالدم... ثم سقط ، وغاص فى الماء الضحل .. قبل أن أفيق من هول ما رأيت ..

الملك : يا للفظاعة .. (لسارجين ومن كانوا يحملون المحفة) كيف تتركون إخوانكم هكذا للموت ؟!

سارجين : (مشيرًا إلى من كانوا يحملون المحفة) خشى الجنود الذين تجمعوا

من انتقام الأرواح ... يعتقدون أنها اعتصرت الحياة من زملائهم ، الذين انطلقت منهم صيحات يملؤها الفزع ، فلم أعرف أنا نفسى ، هل يصارعون بشرًا أم شياطين .. !

الملك : (للجنود ، فى تأنيب قاسى) أحجمتم يا قليلى الإيمان عن إغاثة زملائكم !! نسيتم قول النبى داود " الرب راعىّ فلا يعوزنى شىء .. وإذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شرًّا " .

سارجين : (يتحول شيئًا فشيئًا من الكآبة إلى التحدى والصلف ، إلى طبيعته) ولكنهم يخافون الطين والحلفاء ، وذلك الخطر المجهول الرابض فيهما ... يقولون : جئنا نخلص بيت المقدس ، فقذفتمونا على هذا الشاطئ الطينىّ البعيد ... ما كان يجب أن نأتى هذه البلاد يا مولاى ، بعد أن هُزِمْنا فيها منذ أقل من ثلاثين سنة ، هزيمة نكراء !

الملك : أى مشروع لإخضاع الشرق لن يفلح ، ما لم يجعل هدف هجومه مصر .. لا بيت المقدس ... إذا انتزعنا القلب ، استسلم الجسد كله هامدًا ...

سارجين : (فى إصرار) تلك الرؤيا التى تجلّت لجلالتكم خلال مرضكم ، أوحت إليكم باسترداد بيت المقدس ، لا مصر !

الملك : (فى قوة المؤمن بما يقول) من مصر ، انطلقت كل الحملات التى ضيّعت انتصاراتنا السابقة ... منذ ستين عامًا ، جاءنا منها سلطانها القوى صلاح الدين ... ومنذ خمس سنوات فقط ، هزمكم السلطان الذى يقاوم المرض الآن بكل ذلك الإصرار !

آرتوا : (فى اندفاع) ومن مصر ، سنستولى على ثروتها التى لا حدّ لها .. على غلاّتها لنحل أزمات جوع أوربا .. على صُنّاعها يُبدعون لنا كل فن ، وعلى مدنها وثغورها لتصبح مراكز لتجارتنا وقوافلنا ..

الملك : لا تصرفوا الأنظار عن هدفنا الحقيقى .. إنما نسعى لمجد الرب

يا سادة ..
(يدخل جوانفيل ، فيسقط بصره على الجسد المغطى . يسأله الملك فى لهفة) **ما وراءك ؟**

جوانفيل : **انتشر خبر موت الكونت دى نافار هو وحراسه .. فزعزع نفوس الجند ، وصرفهم عن الاستعدادات لاحتفالات النصر ! ..**

الملك : (فى تصميم ، ليغطى ما أصابته به إجابة جوانفيل من خيبة) **لن يقعدنا فقده عن المضى قدمًا ... مصر سهل منبسط مكشوف ، من الهيّن غزوه ... سنغادر دمياط ، ونسير فورًا إلى أهدافنا .**

جوانفيل : **لقد سرى رعب قاتل بين جنودنا ، حتى عصوا كل أوامر قادتهم . أصبحوا يؤمنون أن المزارع والبرارى خارج دمياط ،مملوءة بالشياطين .. التى تقذفنا بالنار .. وتتخطف - بغير شفقة - كل من يغادر الأسوار ...**

الملك : **بل سننطلق خلال أيام ، فى الطريق إلى المنصورة ...**

جوانفيل : **سيرفضون التقدم خطوة واحدة فى هذا الطريق ... إن النيل يحصره من جانب .. وبحيرة تانيس من جانب آخر ، والأحراش والمستنقعات .. المليئة بالخطر والأعداء .. تحفه كثيفة من الجانبين ...**

الملك : **من يخشى السير على الشاطئ ، فله مكان آمن فى السفن ... لقد فرّ جيش المماليك ، واختفى الشعب مذعورًا ..** (لسارجين) **مم يخاف جنودنا ؟**

سارجين : **أصبحوا فوجدوا كل سلاحهم وتدريبهم وشجاعتهم ، لا قِبَل لها بملاقاة ذلك العدو المجهول ، الذى تلقّف زملاءهم ! .. عدو .. نجهل مكانه وسلاحه ، ولا نعرف أين يوجه ضربته ، ولا متى يوجهها ..**

الملك : (فى قوة) ثقوا أنه لم يبق أحد ليقاومنا ! ..

سارجين : (فى حدة) بل بقى من نحتل الآن دورهم ، وتشتعل النار فى مخازنهم ، ويتقاتل رجالنا على من بقى من نسائهم ... لقد هربوا من دمياط ، خشية أن تُنْزِل بهم صنوف الوحشية والذل ، كما فعل جنود الحملة السابقة بهم ... هربوا ... لكنهم يعرفون أنهم عائدون .. هل تظن أنهم سيتركون طويلاً ، فتاة كالتى بالداخل بين أيدينا ؟!
(يبرق فجأة ضوء أبيض يلتمع فى النافذة المواجهة ، فيضيئها ، بعد أن كان قد خفَّ ما انعكس عليها من أضواء الحريق ، ويزداد تبعًا لذلك الضوء فى المسرح ، منعكسًا من البهو غير المسقوف .. ثم يترامى صوت انفجار)

جوانفيل : أتسمع هذا يا مولاى ! .. إن السير إلى المنصورة ، اقتراح يجب إعادة النظر فيه ، وليس الآن وقت تنفيذه ...

الملك : (فى حزم وتصميم) لتتذكر يا سير دى جوانفيل ، أنكم ، عندما اقتربنا من شواطئ مصر ، أشرتم علىّ بالانتظار فى عرض البحر ، حتى تصل بقية السفن .. لو كنت قد أصغيت إليكم ، وتركت إلهام الرب ، لما ظفرنا بهذا النصر السريع الذى مهَّده لنا نزولنا إلى البر .. (فى حزم) لقد أتينا تنفيذًا لمشيئة الرب .. خط سير الحملة لن يتغير .. !
(يلتمع ضوء آخر .. فانفجار ، فيشتد اللهب)

جوانفيل : الانفجارات تتوالى ...

الملكة : (تنظر بهلع إلى النافذة والسقف غير المغطى) السماء تعكس أضواء حرائق مروعة أخرى .. !

جوانفيل : (وهو يتطلع من باب الطريق) ألسنة اللهيب تتعالى من وراء دور البلدة هذه المرة ...

سارجين : (فى انفعال ، وقد فهم) **من سطح النهر .. !**
(يدخل فيليب مذعورًا)

فيليب : (فى رعب) **الأسطول يا مولاى !! ..**

آرتوا : (باندفاع) **كل هذه النيران فيه ؟!**

فيليب : (فى انفعال عظيم ، يؤججه الفزع والارتياع) **الكرات الصغيرة المشتعلة ، تنقض بغير توقف على السفن والشوانى .**

سارجين : (يائسًا) **لن تكون السفن أكثر أمنـًا من طريق المستنقعات ! ..**

فيليب : (مكملاً فى ارتياع) **النار تنتشر من سفينة إلى سفينة .. قطع من الجحيم الحقيقى ، كست باللهب عشرات منها .. النار لا تترك كل ما تمتد إليه ، إلا جعلته رمادًا تذروه الرياح !**

آرتوا : (فى كمد) **الأرواح الشريرة ترعب الأسطول ، كما أرعبت الجند ! ...**
(يتعالى لهيب جديد . يُسمع صوت انفجار آخر . تشتد انعكاسات النار)

لملك : (يشد قامته ، وقد تأهب لإصدار أخطر القرارات . يهتف بمن حوله منبهًا ..) **يا سادة ..** (يجذب صوته الحاسم الجميع ، فيتركون التطلع إلى النار ، ويتطلعون إليه) **أبحروا بالسفن من النيل .. اخرجوا بها جميعًا إلى عرض البحر ... !**

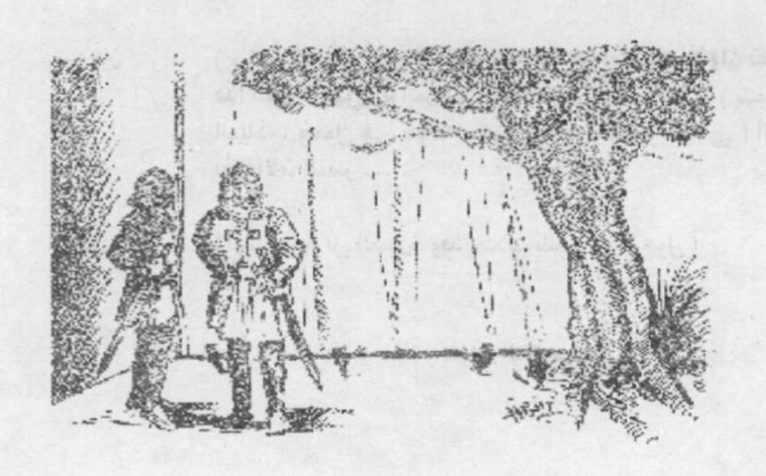
آرتوا : (دهشًا) **سنبعد عن طريق المنصورة ؟!**

لملك : (فى نفس القوة) **سنبقى فى دمياط .. نحصنها لنحمى أنفسنا ..** (يخيم الصمت على الجميع ، فيجول بعينيه سائلاً) **هل بقى شىء يتعين علينا العناية به يا سادة ؟**

سارجين : (منفعلاً ساخطًا) **بقى أن نبث الشجاعة فى نفوسنا ... وأن نعرف سر هذا العدو المجهول الرابض لنا خلف دمياط ! .. مولاى ..** (يلتفت إلى الملك ، ويقول فى صوت حاسم واضح يتفجر بالأسى) **ألغوا كل احتفالات النصر ... !**

(تتطلع إليه كل العيون ، وقد امتلأت بالحيرة والذهول)

ينزل الستـــــار



الفَصْلُ الثَانِى

المنظر الأول

(عند الغروب من يوم الإثنين السابع من فبراير عام ١٢٥٠. خيمة الملك لويس على الشاطئ الشمالى لنهر " بحر أشموم " - البحر الصغير - الذى يخرج من فرع دمياط ، إلى الشمال من المنصورة ، ويصب فى بحيرة تانيس - المنزلة) .

(فى بداية الفصل ، لا نرى إلا المساحة الواقعة خلف خيمة الملك لويس الحمراء ، وعلى الجانب الأيمن منها شجرة جميز ضخمة .

عندما يرتفع الستار ، نرى جوزيف - تابع الملك - فى نوبة حراسته ، وقد وقف مارسيل يصبّ ضيقه فى أذنيه)

مارسيل : (فى سخط) لم نستطع العثور على المصريَّيْن اللذين يعيثان فسادًا فى المعسكر منذ الصباح ! .. أى لعنة قذفت بنا إلى شاطئ هذا النهر المشئوم !

جوزيف : (محذرًا) .. اخفض صوتك .. ! اصمت كما يفعل غيرك .. !

مارسيل : (وسخطه يتزايد) انقضى شهر ونصف .. ونحن نتطلع إلى المنصورة عبر هذا النهر العميق .. ولا نستطيع العبور ؟! لمَ يقف الرب ضدّنا ؟

جوزيف : لا شأن للرب بهذا ... المصريون هم اللذين يصبُّون علينا كل هذا العذاب ..

مارسيل : (حانقًا) خمسة أشهر من الخوف فى دمياط .. ثم شهر آخر نقفز خلاله فوق القنوات .. ونسد الترع .. ونجتاز المستنقعات المليئة بالرعب والأعداء فى الطريق إلى هنا .. كل هذا ، لنقف أخيرًا أمام هذا الشاطئ .. نكتشف صباح كل يوم .. جثث من قضت عليهم طعنات المصريين القوية خلال الليل ...

جوزيف : (محذرًا) اسكت وإلا قتلك قادتنا ... إن غفران البابا الذى منحه لكل من اشترك فى هذه الحملة ، قد يمحو جرائم القتل والسرقة والزنا .. لكنه لا يمحو جريمة التمرد عليهم .. !

مارسيل : منذ جئنا مصر ، وأنا لا أنطق بكلمة ... (فى كآبة) .. كم بعدت عنى صورة زوجتى وهى تلوِّح لى ، وسفننا تبتعد عن شاطئ فرنسا ... لم يكن طفلنا الأول قد ولد بعد ! .. أتدرى أننى لم أعرف حتى الآن .. هل جاء ذكرًا أم أنثى ؟ .. (فى لهجة أخف وقعًا) كثيرًا ما أحلم أننى عدت إلى بيتى .. (سائلاً) هل تعتقد أننا سنعود يا جوزيف ؟ ..

جوزيف : (وقد داخله الخوف) احتفظ بخواطرك لنفسك .. اسكت .. !

مارسيل : (غير مكترث بخوف جوزيف) .. هناك شبحان مصريان فى المعسكر اليوم .. ومن يدرى ؟ .. إن الطعنات الصامتة السريعة ، قد تختارنا " نحن " فى المرة القادمة ...
(يدخل جاستون)

جاستون : (فى سخريته ومرحه المعتادين) آه .. تابع الملك يترك باب خيمة مولاه ، ليسمع خلفها درسًا من مارسيل فى الثورة والشكوى .. !

جوزيف : (مشيرًا إلى مارسيل) سيفقد هذا الأحمق رأسه يومًا .. !

جاستون : احرصا على رأسيكما .. فقد أصبح لهما ثمن ! .. (يشير إلى رأسه) أتعرفان كم أصبح يساوى هذا الرأس الفارغ ، الذى أحمله بين كتفىّ ؟!

جوزيف : لا يساوى قدحًا واحدًا من شعير طعام الخيل .. !

جاستون : التسعيرة أصبحت دينارًا كاملاً ... كل مصرى يعود إلى المنصورة ، ومعه رأس أحدنا ، يمنحه سلطانهم جنيهًا ذهبيًا غير منقوص ...

مارسيل : (فى كآبة) خلال الأسبوع الأخير وحده ، فقدنا مائة وستين رجلاً ! ...

جاستون : المصريون يربحون ونحن سنعود مفلسين ... لن يجد الفرسان مقابلاً لما تجشموه فى نقل ما لهم من خيل وخيام ، وبغال وأتباع ... !

مارسيل : (فى سخرية تقطر تذمرًا) وجلالته المقدسة ، لا يكف عن الصلاة ! .. وجلالتها ، تنذر أن تشعل مائة شمعة عندما ننجح فى العبور ... فلا نعبر .. ويتزايد عدد الضحايا ! ..

جاستون : لو سمعك جلالته ، فأنت وحظك ! .. إما أن يلقى عليك موعظة فى الإيمان بالله ... أو يصدر أمرًا بشنقك .. !!

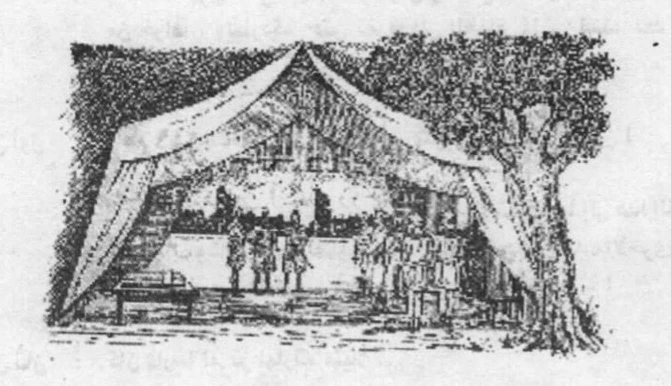
(يدخل ريشار)

ريشار : (لجوزيف) **مولانا يستدعيك يا جوزيف ..** (فى سخرية) **أسرع .. فامامه اليوم .. ثلاثة من فرسانتا الأبطال ! ..**

(يتجه جوزيف وريشار إلى خارج المسرح)

جاستون : (همسًا لمارسيل ، وهو يجذبه معه متجهًا إلى حيث سبقهما جوزيف وريشار) **هذا مشهد مسل ، لا يجب أن يفوتنا يا مارسيل .. أكثر تسلية من حفر الخنادق بغير طائل ! . أسرع ..**

(يخرجان)



(يرتفع الستار الذى يمثل ظهر خيمة الملك لويس ، فيظهر داخل الخيمة مملوء بأعلام الفرق المشتركة فى الحملة ، ومُحلّى بشارة زهرة الزنبق البيضاء . الأثاث من خشب فاخر .

إلى اليسار ، نضد عليه نموذج مجسم كبير الحجم ، لبرجين بينهما ساتر ، وخلفهما بيتان ليحميا الحراس من قذائف المنجنيق ، وأمام الساتر نموذج لسد حاول الصليبيون أن يقيموه ليعترض مجرى نهر " بحر أشموم " ليعبروا عليه .

فى الصدر مدخل الخيمة مفتوح عن آخره ، وقد ظهرت خارجه بقايا أحد البرجين وجزء من الساتر ، وقد أحرقتها قذائف النار المصرية ، والمعروفة

فى التاريخ باسم " النار الإغريقية " . وفى الخلف يظهر " بحر أشموم " .
بالجانب الأيمن ، ساتر يخفى مخدع الملك والملكة عن بقية الخيمة ،
وبه فتحة تصل بين القسمين .
عندما يرتفع الستار ، نرى الملك واقفًا ثائرًا ، وأمامه ثلاثة فرسان ، وقف
أوسطهم مطرقًا ، لا يحاول أن يرفع وجهه إحساسًا بالعار ، وشابَ وجه
الآخرين طابع الذل والمهانة ، وقد جلس حول الملك البارون ريجنالد
قائد فرسان القديس يوحنا ، والسير دى سارجين . يدخل جوزيف
وريشار ، ويقف جاستون ومارسيل عند المدخل) .

الملك : (صائحًا مؤنبًا الفرسان) ... **عربى واحد يأخذ كل ما كنتم تحرسون من خراف ، ويطردكم حتى تفروا إلى الخيام ؟! .. لستم بعد اليوم فرسانـًا .. !**

فارس أول : (فى دفاع متخاذل) .. **فاجأنا من شاطئ هذا النهر الملعون !**

الملك : (غاضبًا) .. **النهر .. النهر .. ! كل مصائبنا تنسبونها إلى هذا النهر ..** (يمد يده وينزع شارة الصليب عن صدر أحدهما ، وبيده الأخرى ينزع الشارة عن صدر آخر) .. **إخلعوا عنكم هذه الشارات .. !**

فارس ثان : **كان فارسًا لم نر لمهارته مثيلاً ...**

الملك : **إبحثوا عن عذر غير الذى نسمعه كل يوم .. لقد كنتم ثلاثة !** (إلى ريشار) **يا ريشار ... خذ تروسهم .. اجعلها معالف للدواب ...**
(يتقدم ريشار ليتناول التروس . يترك اثنان ترسيهما ، أما الثالث فيقول فى تخاذل)

فارس أول : **... تحرمنا من القتال يا مولاى ؟ ...**

الملك : **إن اسطبل خيل جدير بكم ... لا ميدان القتال ..**
(يُسقط الثالث ترسه . ينادى الملك جوزيف)

يا جوزيف .. انزع خيامهم ، وألقِ بها فى ماء هذا النهر الذى ينسبون إليه عارهم .. (يلتفت إلى ريجنالد وسارجين) .. يجب وضع حد لهذا الانهيار .. (للفرسان الثلاثة) .. هيا من هنا .. اخرجوا .. لا تمسكوا سلاحًا بعد اليوم ..

(يحاول الفارس الأول أن يتكلم ، فيعاود الملك الصياح)

أغربوا من أمام وجهى ..

(يخرج الفرسان الثلاثة مطأطئى الرءوس ، فينفخ الملك ثائرًا)

.. واحد يهزم ثلاثة .. !

ريجنالد : (فى سخط) لقد وقعنا فى الفخ الذى اصطاد الحملة السابقة ... ما كان يجب أن نأتى عن طريق شرق الدلتا !

الملك : (غاضبًا) أما تكفى متاعبنا مع المصريين والفرسان ؟! .. أين إيمانك ؟ .. يجب أن تثق أن كل شىء سيصير إلى أفضل ! ..

ريجنالد : (ثائرًا) بل إلى أسوأ ! .. كرات النار الصغيرة أصبحت براميل ضخمة من الهلاك المشتعل ... (يشير إلى الساتر والأبراج المحترقة ، الظاهرة من مدخل الخيمة) لقد أحرق المصريون كافة تحصيناتنا مرتين ، وهدّمت براعة مهندسيهم فى ساعات .. السد الذى قضينا ثلاثة أسابيع نجاهد فى إقامته لنعبر عليه .. (دون أن يخفف من لهجته) هل سمعتما بما حل بتابع السيد كورنىّ هذا الصباح ؟!

سارجين : (سائلاً) قتلوا أيضًا تابع كبير فرسانك ؟

ريجنالد : (مكملاً) خرج يصطاد ، فشاهد فوق ماء النهر بطيختين .. ومنذ نزل يأخذهما ، لم يعد ... كانت البطيختان غطاء رأس لمصريَّيْن يختفيان تحت الماء ، ويرعبان المعسكر منذ الفجر !

الملك : لو كنتم قد أصغيتم إلى نصحى ، ولم نتلكأ فى قبرص ، لجئنا قبل أن يتم الصلح بين مصر وحلب ... أضعنا الوقت حتى زالت الجفوة بين

العرب ، واتحدوا لملاقاتنا ..

سارجين : كان يجب أن نذهب إلى الإسكندرية ، حتى نحتفظ بمعنويات جيشنا . بالإسكندرية ميناء صالح ، والطريق منها إلى بابليون ، لا تحف به مستنقعات ولا أخطار ! إن مجارى المياه .. تنتشر كشبكة الصائد فى طريقنا هنا ..

ريجنالد : (مشيرًا إلى نموذج البرجين والساتر المقام بالخيمة) ليست الترع والأنهار هى السبب فيما نعانى ، وإلا لعبرناها بتنفيذ هذه التصميمات الرائعة . السبب أن أحدًا لم يكتشف كيف تتم هذه الأبراج والتحصينات عبر نهر أشموم وعلى شاطئه ، فى مواجهة آلاف الرماة .. وتحت رحمة ست عشرة آلة جبارة ، تنتصب على شاطئ المصريين فوق تل جَدِيلة ، وتواصل قذفنا .. ليل نهار .. بسيل من الأحجار والنار ..

سارجين : .. ولم نجد من يعاوننا على أن ننال بالحيلة ، ما لم نظفر به فى معركة سافرة ... لقد طال انتظارنا لمعونة من الحشاشين !

ريجنالد : (ساخطًا) يجب أن نعود من حيث جئنا ، حتى لا يصيبنا شؤم كل من أراد غزو مصر ... هذه أمَّة ما من أجنبى أراد أن يخضعها لحكمه ، إلا وأفنت شخصيته ، وأذابه شعبها فى معدته القوية ! ..

الملك : (مؤنبًا فى عنف) يا سادة .. إننا الآن أمام المنصورة .. والعودة إلى دمياط للذهاب إلى الشام أو الإسكندرية ، معناها الموت فى الطريق الموحل الذى جئنا منه . إنه يزخر الآن بجموع المصريين .. يتدفقون حوله بغير انقطاع لملاقاتنا ...

سارجين : .. وإذا بقينا هنا ، فلن يتركونا حتى يرغمونا على الرحيل ، كما فعلوا بمن سبقونا ... إن زوج السلطان التى يسمونها شجرة الدر .. قد جمعت الصفوف ، ووحدت القادة . أنْسَتْ الناس مرض سلطانهم ، وأخفت بمهارة خبر موته ... أعادت للشعب ثقته فى قائده ابن شيخ

الشيوخ .. ووزعت السلاح على كل متطوع من أهل بلدها ..
(يدخل كونت روبرت دى آرتوا أخو الملك)

آرتوا : (للملك ، فى صخبه المعتاد) أخبار سيئة يا أخى الملك ! .. (لريجنالد) تسلل مصرى إلى خيام ، ينام فيها ثمانية من فرسانك يا بارون ...كانوا قد قضوا طوال النهار ، وشطرًا كبيرًا من الليلة السابقة ، فى حراسة معسكركم ، فسَهُل على المصرى قتلهم جميعًا ...

ريجنالد : (جزعًا) .. ياللكارثة ... !

الملك : (محذرًا) لا ترفعوا أصواتكم يا سادة ... (يشير إلى الساتر الذى يفصل قِسْمَىّ الخيمة) الملكة بالداخل .. كلما ترامت إلى سمعها أنباء من قتلوا وهم نيام ، ينتابها الأرق ، ويتزايد شكها فى جدوى هذه الدماء التى تضيع ...

آرتوا : (وقد خفض صوته ، يتم حديثه إلى ريجنالد) ... إن القاتل هو نفسه أحد اللذين خطفا تابع السيد كورنىَ وهما يختفيان فى البطيخ ... لقد وجدنا سكين التابع مكسورة ، وقد غاصت فى صدر أحد فرسانك...

ريجنالد : (وهو يخرج) .. واحد يقتل ثمانية .. ويُغرق التاسع .. أية أيام سود هذه التى نعيشها .. !

الملك : (لآرتوا) وهل قبضتم على الرجلين ؟

آرتوا : قلبنا المعسكر بحثًا عنهما فعثرنا على رجل ملثم قرب الخيام ، يطلب مقابلة جلالتكم... لقد أرانى خاتما أبيض ، عليه شارة زهرة الزنبق .. رمز بيتنا الملكى ...

الملك : (صائحًا) أدخله .. إنه رسول زعيم الحشاشين ، الذى طال انتظارنا

له ...

آرتوا : (وهو يتطلع إلى خارج الخيمة ، ينادى) أدخلوه ..
(يدخل حارسان بينهما شخص ملثم)

الرسول : شيخ الجبل بالشام ، يبعث بتحياته إلى ملك الفرنسيس فى مصر ..

الملك : وتحياتنا إلى صديقنا الجليل ، سيدك ركن الدين خورشاه .. لعل مساعيكم لبث الفرقة بين الشام ومصر .. قد أثمرت .. ففى كل مرة يتحد العرب ، يكون ذلك نذيرًا بالقضاء علينا جميعًا ...

الرسول : (يُخرج دَرْجًا ملفوفًا) هذا خط شيخنا يا ملك .. (يمد يده بالوثيقة ، فيتناولها منه سارجين) .. سنعاونكم فى استرداد الشام كما عرضتم علينا ، فتكون لكم بيت المقدس ، وكافة إماراتكم التى سبق أن حكمتموها هناك ... أما بقية الشام ، فتُترك للإسماعيلية .. حافظى أسرار الدين ...

سارجين : (بعد أن قرأ الوثيقة) .. لكنكم لم توفوا حتى الآن بشرطكم ! ... لم نر أثرًا لما وعدتمونا به ، من معونة لأخذ مصر ...

الرسول : (سائلاً) .. كم يومًا ضيعتموها وقوفًا هنا .. تتطلعون إلى العبور بغير طائل ؟

الملك : (فورًا) تسعة وأربعين يومًا ..

الرسول : (وقد وجد الملك يذكر الرقم دون تردد) آه .. القلق يدفعكم إلى إحصاء الأيام ! ..

آرتوا : بل الملل .. إننا نتحرق شوقًا إلى معركة حاسمة على الضفة الأخرى ! ..

الرسول : .. إذا أعطيتمونا الآن العهد والميثاق ، فلن يشرق اليوم الخمسون ، إلا وتكونون قد عبرتم هذا النهر ... إن فداويّينا ينتشرون فى كل مكان ! ..

آرتوا : (للملك) أعطه العهد يا أخى المقدس ..

الملك : (بغير تردد) باسم الله .. أعطيك العهد والميثاق .. الرب يشهد على التزامنا بتنفيذ ما عرضته علينا الآن !

الرسول : (وقد لاحظ سرعة إعطاء الملك للعهد) تعطى العهد فى سرعة وبغير تردد .. ! إحذر يا ملك .. إن الإخلال بوعد يُقطع للإسماعيلية .. وزعيمهم شيخ الجبل ، يجلب متاعب لا تنتهى .. !

الملك : لقد خَبَرْتُم تمسكنا بما بذلنا لكم من وعود ، خلال الحروب السابقة ...

الرسول : إنها وعود ، لم تتح لكم فرصٌ كثيرة للوفاء بأخطرها ! ..

سارجين : لولا الوحدة العربية المتينة .. التى أفلح صلاح الدين فى خلقها وتقويتها .. لكنا الآن شركاء فى حكم الشرق منذ ستين عامًا ...

الرسول : (فى غموض) الأيام تُظْهِرُ المستور ... (للملك ، فى لهجة الرجل العمليّ) لكننا لا ننتظر الثَمن الآجل وحده يا ملك ...

الملك : لن نغلق خزائننا دون ما يطلبه رجالك ...

الرسول : اتفقنا إذن .. السلام على ملك الفرنسيس ...

(يتحول الرسول ويخرج فى اعتداد وخطوات سريعة ، دون أن ينتظر ليسمع ردًا على تحيته)

الملك : (ممتعضًا) .. إنهم يبالغون فى الاعتداد بقوتهم ..

سارجين : هل يُعقَل أن نتم الليلة بمعونتهم .. ما فشلنا فيه شهرًا ونصف شهر ؟!

آرتوا : ... الحكمة أن نستفيد بكل ما لديهم .. ثم ندبر أمر التخلص منهم ...

الملك : (مؤنبًا) لا يتفق هذا التدبير .. مع تعاليم المسيح ! ..

آرتوا : أى فرق بين كتمان ما يجول فى خواطرنا جميعًا ... أو الإفصاح عنه ؟! فليدلونا على وسيلة لعبور النهر ، وليذهبوا بعد ذلك إلى الشيطان ... عليهم فقط أن يعجِّلوا ...

(يدخل ريجنالد فى ضجة على رأس عدَّة حراس ، يقودون بينهم بطرس الصراف وملابسه ملطخة بالدم ، تتنازعه الجرأة والخوف . ويمسكون أيضًا بجندى صليبى ضخم الجثة ، فارع الطول ، حتى ليبدو بطرس قزمًا بجواره)

ريجنالد : (مشيرًا إلى بطرس فى عصبية) أعتقد أن هذا هو المصرى الذى قتل ثمانية من خير فرسانى اليوم .. (مشيرًا إليه ، ثم إلى الجندى الصليبى) قبضوا عليه ، وهو يرشو هذا الخائن ليطلق سراحه .. بعد أن عثر عليه مختفيًا فى خيمته !

المرتشى : .. رؤساؤنا يأخذون الفدية ، لإطلاق سراح من يقع فى أسْرِهم من فرسان ! ..

الملك : (مستنكرًا) يأخذون الفدية قبل نهاية الحرب ؟ .. يأخذون الفدية .. ليتركوا عدوًا وسط خيامنا ، ليكمل قتل رجالنا ؟! (إلى الحراس ، مشيرًا إلى المرتشى) اشنقوه ..

المرتشى : (باكيًا) الرحمة يا مولاى .. لم أفعل إلا ما يفعله السادة كل يوم ..

(يجذبه الحراس)

ريجنالد : (للحراس) خذوه ...
(يخرج الحراس يجذبون معهم المرتشى ، وهو يطلب الرحمة عبثًا)

سارجين : (مشيرًا إلى بطرس) إذن أنت الذى قتل فرساننا اليوم ؟ .. أين زميلك ؟!
(يسكت بطرس)

ريجنالد : (فى حقد شديد) تكلم أيها الغادر ! ..

بطرس : (ولم يفارقه تهيّبه ، لا يوجه الحديث إلى شخص بعينه ، كأنما يحدث نفسه) .. الغادر من يعتدى بغير مبرر .. !

الملك : آه ... كيف تعلمت لغتنا أيها العربى ؟!

بطرس : (وقد استعاد شيئًا من ثقته بنفسه) تعلمتها من نائب البابا فى بيت المقدس ..

الملك : (دهشًا) أنت مسيحى ؟!

بطرس : وترجمت بعض كتب المسيحية إلى العربية ...

الملك : (دهشًا) كيف تشترك إذن فى العدوان علينا ؟! .. ألا تعلم أننا جئنا خصيصًا لحمايتكم ؟!

بطرس : (فى سخرية خفيّة يشوبها القلق) حمايتنا ؟! .. أنا أعلم من تجربتى أمرًا مؤكدًا ... أنكم معتدون ، ونحن معتدى علينا .. لا فرق بين مسلم ومسيحى ...

سارجين : هل هذا ما تعلمته فى بيت المقدس ؟

بطرس : بل تعلمته منكم ! .. هدّمتم كنيسة أحد الرهبان فى دمياط منذ ثلاثين سنة ، فصحبنى معه إلى الشام .. هاربًا من .. حمايتكم ! ..

ريجنالد : (يصفعه على وجهه) أيها الجاهل بأمور دينك .. تسخر منا وأنت تحت رحمتنا ؟! ..

بطرس : (فى نبرات تشى بالثورة التى تعتمل فى صدره) .. قبل مجىء حملتكم السابقة ، كان أبى يمتلك مع رجل مسلم .. بيتًا فى دمياط . لقد تقاسما العيش السعيد فيه .. ستة وثلاثين عامًا .. ! أتعرفون ماذا حل بنا عندما جئتم ؟! .. أحرقتم بيتنا .. (يشير إلى أثر الجرح الملتئم الغائر فوق عينه اليسرى) .. ونالنى أنا هذا الجرح .. وحاول خمسة منكم اغتصاب أمى ، فماتت وهى تقاومهم .. وقتلتم أبى بضربة من قبضة سيف ، حطمت رأسه ، ونثرت مخه على وجهى ..

ريجنالد : (فى حنق) لا تحاول استدرار عطفنا أيها القاتل .. أين زميلك الذى كان معك فى البطيخة ؟! ..

بطرس : عندما تجدون ضحاياه ، تعرفون أين كان .. !

الملك : (فى إشفاق وتأنيب) لقد ملأ الظلام قلبك يا رجل .. إن الرب هو الذى أمرنا بأن نخلص الشرق ..

بطرس : (فى حدة وسرعة) تخلصونه من السلام والرخاء !! ... ما دمتم قد جئتم محاربين ، فالمصريون كلهم أعداء لكم ، مهما اختلفت أديانهم ..

ريجنالد : (يضرب بطرس بقبضة يده فى صدره ، ويمسك بملابسه ، ويهزه فى عنف) قتلت ثمانية من خير فرسانى وأغرقت التاسع ، ثم تأتى

لتتبجح علينا ؟! أين رفيقك الذى جاء معك ؟ ..

بطرس : (وهو ينظر إلى ريجنالد ، وقد ملأته روح التحدى) **لقد راهنته أن أقتل عشرة منكم .. ولو مت فى سبيل ذلك ..**

ريجنالد : (وهو يهز بطرس فى عنف) **سنعذبك حتى تتكلم ..**

بطرس : (فى تحد صارخ) .. **طباع البرابرة لا تتغير .. مغولاً كانوا أم أوربيين .. !**

ريجنالد : (وقد ازدادت ثورته على بطرس) **سنقتلك قبل أن تفى برهانك .. !**

بطرس : (صائحًا والشرر يتطاير من عينيه) **يا من تجهلون حقيقة المسيحية .. والمسيح .. أنا لم أخسر رهانًا فى حياتى ...**

(ينحنى فجأة ، ويسحب من رباط على ساقه كان يغطيه طرف ثوبه سكينًا صغيرًا . وفى مثل لمح البصر ، يطعن به ريجنالد ، فيسقط وهو يتحشرج)

ريجنالد : (وهو يموت) **سنعذب ... نعـ ... ذ ... بك .**

(يموت)

(ينقض آرتوا بسيفه ، ويطعن بطرس فى صدره . يصرخ . يدخل من الخارج بعض النبلاء والجنود ، وقد سمعوا صيحات المحتضرين ، كما تخرج الملكة وقطر الندى من خلف الساتر الذى يفصل قسمى الخيمة . تعرف قطر الندى بطرس ، فتند عنها صرخة جزع)

قطر الندى : (صارخة فى جزع) **بطرس ؟**

(يلتفت إليها بطرس ، وهو يقاوم حتى لا يسقط ، فيستند إلى ما حوله من أثاث)

بطرس : (متحشرجًا ، إلى قطر الندى ، وقد التمعت عيناه انتصارًا ، رغم ما يملؤه من ألم) .. **واحد ... قتل عشرة ..** (يحوِّل رأسه إلى الفرنج ، وضعف الموت يسرى فيه) **وعشرة ... يقتلون ألفًا ..** (يسقط على ركبتيه) ..

وألف . يقتلون .. عشرة آلاف .. (يسقط على الأرض ، فيتحامل على نفسه مستندًا إلى ذراعيه ، ويرفع رأسه ، ليسأل فى تحد وانتصار وألم) .. **كم .. يبلغ .. عددكم .. ؟ إننا خمسة ملايين .. !!**
(يموت)

آرتوا : (بعد لحظة ، فى كآبة) .. **مات البارون ريجنالد .. أصبح فرسان القديس يوحنا بغير قائد .. !**

سارجين : **.. ومات بسكين صغير ... كالتى قتلت من قبل .. قائد الفرسان الهيكليين .. !**

الملك : (وقد ملك زمام نفسه) **ليدرك الله الجميع برحمته ...** (للجنود) **احملوا جسد هذا المصرى ، والقوا به فى النهر ...** (لجوانفيل وآرتوا ومن دخل من النبلاء) **ولنُقم الآن قداسًا مهيبًا يا سادة .. لأجل روح فقيدنا . احملوا جثمانه إلى خيمة الصلاة .. سألحق بكم فورًا ..**
(يحمل الجنود جسدى بطرس وريجنالد ويخرجون ، يتبعهم آرتوا وسارجين والنبلاء)

الملك : (آمرًا الحراس) **أنزلوا أستار الخيمة .. !**
(يُنزل جوزيف وريشار الأستار ، وقد عادا إلى مكانهما على جانبى مدخل الخيمة ، فتختفى بقايا البرج المحترق . لقد خرج الجميع عدا الملك والملكة ، وقطر الندى)

الملك : (حزينـًا) **أين ثوب صلوات الجناز ؟**

الملكة : (تنظر إلى قطر الندى ، الواقفة بعيدًا على انفراد فى أسى) **أحضريه يا قطر الندى ..**
(تدخل قطر الندى إلى المخدع وهى حزينة ممتعضة)

الملك : (وهو يشيع قطر الندى بنظرة ملؤها الشك) **إحذرى هذه الفتاة .. لقد**

ملأت عينيها نظرة غريبة ، عندما أخذ المصرى يرسل تهديده وهو يموت ! ..

الملكة : **إنها لا تنسى شعبها .. حاولَت الهرب مرات ...**

الملك : (مستنكرًا فى حيرة) **كيف تحزن لموت رجل ليس من دينها ؟! ..**

الملكة : **إنه من وطنها .. وقتل عشرة منا !**

الملك : (فى كآبة وأسف) .. **يا لضيعة جهادنا ... ! مسيحى يقتل مسيحيِّين ، ويرفض حمايتنا ! ...**
(تأتى قطر الندى بثوب أبيض)

الملكة : (بقدر ما تستطيع من التظاهر بعدم الاكتراث) **لعله كان فى حاجة إلى من يحميه منا نحن .. لم نكن فى نظره .. إلا معتدين .. !**

الملك : (فى دهشة واحتداد ، وهو يضع الثوب على كتفيه) **وهل كنا نتركه يخطف أرواح المزيد من رجالنا ؟! ..**

الملكة : (كأنها مغلوبة على أمرها) **لا .. لم يعتد الملوك أن يتركوا للحياة من يدرك حقيقتهم ... ألسنا حقيقة معتدين ؟**

الملك : (فى ضيق وشىء من غضب) **هذا كلام لا يقال ، ووصيفتك المصرية واقفة تسمعك !**

الملكة : (ولهجتها تفيض بما يفصح عما يملأ نفسها من ثورة ، مشيرة إلى قطر الندى) **وهذه أيضًا كانت آمنة ، تحلم بأن تزَف إلى خطيب تحبه .. فحطمنا لها الحب والمستقبل ... أتعلم أنها سألتنى عن سبب واحد يبرر تحطيمنا كل ما كان لها .. فلم أجد جوابًا .. !**

الملك : (فى حدة) هذا ما استفدته من تعليمها لغتنا .. (صائحًا ، كأنما وجد الجواب الحاسم على شك زوجته) .. إنهم مسلمون .. !

الملكة : لا فرق ... أيديكم لم تفرغ بعد ، من دم مسيحى منهم .. ! إنهم ليسوا وحوشًا .. ألا ترى قطر الندى .. لقد اكتشفت فيها أطهر وأنبل إنسان .. !

الملك : (غاضبًا) لقد فقدتِ إيمانك بكل مقدس جئنا لأجله ..

الملكة : (متنهدة) بل أرجو أن ينتهى كل شىء فى سرعة ... لقد نذرت نذرًا .. أوفيه عند عبورنا هذا النهر ..

الملك : .. (محتدًّا) كثيرًا ما قلت إنك فى حاجة إلى دروس عديدة من أمى ، حتى تثبتى على عقيدتك .. أنت تعرضين نفسك لغضب السماء .. ! (يخرج غاضبًا)

الملكة : (يائسة ، لقطر الندى) يبدو أننى آلمت جلالته ..

قطر الندى : لو عرف حقيقتنا .. كما عرفتِها جلالتك ، لما انتابه هذا الغضب ...

الملكة : (متنهدة) لو عرف كل شعب حقيقة الشعوب الأخرى ، لتجنبنا كثيرًا من أسباب هذه الحروب .. (نادمة) لقد خدشتُ ما يعتبره جلالته .. معتقدات .. لا يجوز المساس بها .. !

قطر الندى : ليس فى خيال رجالكم .. إلا صور مليئة بالرغبة فى الاعتداء .. !

الملكة : يخشون أى بصيص من ضوء ، يسقط على ما رسب فى عقولهم من تعصب ... يخشون أن يكتشفوا عبث التضحيات التى يُقدِمون عليها .. !

قطر الندى : .. لماذا لا تقولين هذا لجلالته ؟

الملكة : لقد رأيتِ كيف أغْضَبْتُه كلمات قليلة ... إن جلالته فى حاجة إلى معونتى ، كى يسيطر على هذه الآلاف السريعة التقلب التى جاءت معنا .. (بعد لحظة ..) سأذهب لحضور الصلاة معه ..
(تتجه نحو مدخل الخيمة ، تقف ، تحول رأسها إلى قطر الندى قائلة)
يمكنك أداء صلاتكم هنا .. لكن احذرى أن يراك أحد .
(تخرج الملكة ، فيأتى من القسم الذى به الفراش صوت ينادى)

صوت : (مناديًا) .. قطر الندى ..
(تحول قطر الندى رأسها مصغية)

الصوت : (مناديًا ثانية) يا قطر الندى ..

قطر الندى : (فى فزع) من هذا .. ؟ من ينادينى .. ؟!
(يخرج بدر الدين من قسم الخيمة الذى به الفراش ، وهو يرتدى ملابس الصليبيين ، ويحمل ربطة ملابس فى يده)

بدر : (وهو يتلفت حوله حذرًا) .. أنا يا قطر الندى ..

قطر الندى : (وقد تسمَّرت فى مكانها وهى دهِشة لا تصدق) بدر الدين .. !!

بدر : (فى بهجة غامرة يلجمها حذره) .. أخيرًا التقينا ..

قطر الندى : (وهى تندفع نحوه ، وتتطلع إليه فى فرحة غامرة) بدر الدين .. لا أكاد أصدق ! .. (تشير إلى الملابس التى يرتديها) ما هذه الملابس التى ترتديها ؟! من أين حصلت عليها ؟

بدر : نزعناها عن أحد الفرنجة ، خطفناه تحت الماء هذا الصباح !

قطر الندى : (مبتسمة) وأنت تلبس البطيخة ! ..

بدر : وبعدها اختفيت فوق شجرة الجميز خلف الخيمة . ولما وجدت المكان خاليًا ، تسللت زاحفًا .. (يشير إلى قسم الفراش) فوجدت نفسى تحت الفراش !

قطر الندى : كنت أثق دائمًا أنك ستاتى .. كم اشتقت إليكم جميعًا ..

بدر : وكم عذبنى القلق على مصيرك ، حتى أبْلَغَنا أسير أنك هنا ..

قطر الندى : حَمَتْنى ملكتهم منذ اللحظة الأولى من وحوشهم ، وبعدها حاولت الهرب مرات ، فتعرضت للموت بسهامهم ... أى ألم بشع فظيع يعانيه مَن رأيتهم مِن صرعى السهام !

بدر : جئت اليوم ، لأهىء لك طريقًا آمنًا للهروب ..

قطر الندى : (فى فرح وانفعال) صحيح ؟ .. أسرع .. أخبرنى كيف .. ؟!

بدر : (يتلفت حوله حذرًا ، ويمد يده إليها بالربطة التى معه) خذى هذه اللفافة .. بها ملابس فرنجى آخر .. إلبسيها لتتخفى فيها .. يجب أن تكونى على استعداد عند منتصف الليل ..

قطر الندى : (فى جزع) وستبقى أنت فى هذا المعسكر حتى منتصف الليل ؟! .. لقد قتلوا هنا منذ قليل .. (تتردد .. تعلوها الكآبة ..) قتلوا .. (تسكت) ..

بدر : (سائلاً فى جزع) مصريًا ؟!

قطر الندى : (فى كآبة) .. صديقك .. بطرس .. !

بدر : (جزعًا ، وقد فوجئ) .. قتلوه ؟!!

قطر الندى : لم تذهب حياته عبثًا .. كان عاشر ضحاياه .. كبيرًا من فرسانهم فجعهم فيه ..

بدر : (بحزن) لقد أوفى رهانه ! .. كان من أشجع أبطالنا .. تطوع بمصاحبتى اليوم بغير تردد ..

قطر الندى : يبدو أن عمتى .. كفَت عن نصحك بالبعد عن المخاطر !

بدر : لقد خلق اكتشافى سلاح النار ، أساطير .. وَضَعَت على كاهلى مسئولية تنظيم المقاومة الشعبية فى المنصورة ، فوجدَتْ أمى نفسها وسط دوامة من العمل فى بيتنا هناك ، وقد أصبح ملتقى القادة والمتطوعين من الفرسان وأبناء البلد ..

قطر الندى : ولماذا لا تُعَجِّلون القيام بهجوم ، تضعون به نهاية لعدوان الفرنج ؟! .. أزف الوقت لتلطخوا بالطين شعار زهرة الزنبق الذى يختال به ملك فرنسا وإخوته الثلاثة (تشير إلى الشعار فى صدر الخيمة) .

بدر : إننا ندرب جموع المتطوعين القادمين من الصعيد والقاهرة من الدلتا وكل بلاد العرب ... وقد نتم الليلة تنفيذ خطة ، نأسر بها كل سفينة تاتى إلى الفرنج من دمياط أو تبحر إليها .. سنمنع عنهم أية إمدادات من زاد أو رجال ، فنضطرهم إلى الانسحاب .. ثم نفنيهم فى الطريق ..

قطر الندى : وهل ستتركنى أموت معهم من الجوع هنا ؟!

بدر : (يشير إلى ربطة الملابس ، وقد تناولتها منه) بل سأجدك عند منتصف هذه الليلة ، متخفية فى هذه الملابس .. بين شجرة الجميز وظهر الخيمة . سيكون هناك قارب خفيف معدٌ فى ذلك الوقت .. لحملنا إلى

المنصورة ..

(يُسمع صوت الملكة من الخارج)

الملكة : (من الخارج) هل عاد جلالته ؟

جوزيف : (من الخارج) كلا يا مولاتى !

قطر الندى : (فى اضطراب ، وهى تدفع بدر الدين إلى خلف ساتر قسم الفراش) اسرع .. اختبئ .. اختف حيث كنت ...

(يختفى بدر الدين خلف الساتر . يزيح جوزيف أستار مدخل الخيمة ، فتدخل الملكة ، ثم تسدل الأستار)

الملكة : (لقطر الندى) شُغلوا عن صلاة الجناز ... وصلت إليهم أخبار هامة ، أنستهم كل ما عداها ...

قطر الندى : (متلعثمة مضطربة) هل وصلت أخشاب ... لمعاودة بناء الأبراج ... ؟

الملكة : جاء إليهم رسول ، ملأت أخباره القوّاد بالفرحة ... لقد شملهم جميعًا حماس غريب ...

(تُسمع أبواق تتردد من كل مكان ، وأصوات أقدام جنود يهرولون ، وخيل تجرى . يرفع جوزيف وريشار أستار الخيمة ، فيدخل الملك وقد أضاء الفرح وجهه)

الملك : (للملكة ، كأنما يضحك) أبْشرى يا زوجتنا العزيزة ، حتى يثبت إيمانك ... فداوىّ من الحشاشينَ دلنا على مكان ضحل بالنهر .. عند قرية سلمون .. ! مخاضة نستطيع العبور منها ، وتقع على مسيرة ساعة من هنا ...

الملكة : (وقد سرَت إليها فرحة زوجها) ستعبرون هذا النهر أخيرًا ؟!

الملك : (فى تأكيد ، وبنفس البشر) الليلة ... وخلال أسبوع أو اثنين ..ترفرف شارة زهرة الزنبق عالية على أبراج قلعة القاهرة ..
(ترتعد قطر الندى خلفهم ، وقد باغتها الخبر)

الملكة : وستقومون الليلة أيضًا بهجومكم ؟

الملك : لا يستطيع أحد الانتظار .. سيُتم أخى آرتوا العبور بعد منتصف الليل ، على رأس الفريق الأول من فرساننا .. واتفقنا أن ينتظرنى فى سكون .. حتى أتم العبور على رأس الفريق الأخير قبيل الفجر .. !

الملكة : (وكأنما انزاح عنها حمل ثقيل) ونترك هذا المكان البغيض !

الملك : سيبقى دوق برجنديا هنا ، ليقود المشاة ورماة السهام . عندما نشتت فى الفجر شمل المصريين ، ونزيحهم عن تل جديلة الذى أقلقونا منه .. سينقطع عنا التهديد .. فيكمل مشاتنا إقامة الجسر ويعبرون عليه ، لنلتقى بهم فى المنصورة ...
(يدخل الكاردينال روبرت)

الكاردينال : (فى بهجة) ليبارككم الرب أيها الملك المقدس ..

الملك : هل سمعت الأخبار الطيبة أيها الأب الكاردينال !؟ .. سنقيم غدًا صلوات الشكر فى المنصورة نفسها .. !

الكاردينال : .. وبعد أيام ، نقيمها فى حصن بابليون .. فى قلب القاهرة .. !

الملك : (للملكة) لعله من المناسب يا زوجتنا العزيزة ، ألا تعبرى عندما يقيمون الجسر .. يحسن أن تعودى إلى دمياط عندما نحتل المنصورة ، فلن نستقر بعدئذ فى مكان ..

الملكة : تحرمنى من التمتع معكم بلذة النصر ، بعد أن ذقت مرارة هذا الانتظار

الطويل ؟!

الملك : **سنرسل فى استدعائك لحضور حفلات احتلالنا حصن بابليون بالقاهرة ، وتأهبنا لغزو الشام .. سأعود لوداعك بعد أن نحتل المنصورة ..** (يخرج الملك مع الكاردينال . تقف الملكة ساهمة مفكرة . تتقدم قطر الندى من خلفها ..)

قطر الندى : (متلعثمة .. فى سرعة واضطراب) **سيدتى الملكة ..**

الملكة : (تلتفت إليها متسائلة .. ساهمة ...) ..

قطر الندى : **إن على جلالتك واجبًا ... يجب أن تؤديه ...**

الملكة : **ماذا يا قطر الندى ؟**

قطر الندى : **أن تشعلى مائة شمعة فى كنيستكم .. !**

الملكة : (تطيل النظر فى وجه قطر الندى ، وهى لا تستطيع تركيز ذهنها فيما سمعت . تقول ، وهى لا تزال سارحة مع خواطرها العنيفة ...) **أشكر لك تذكيرى .. إن زوجى فى حاجة إلى صلواتى خلال هذه اللحظات ، كما لم يكن فى حاجة إليها من قبل ... يجب أن أقدم الشكر لله أنْ وضع نهاية لمتاعبه ..**
(تخرج الملكة . تسرع قطر الندى إلى الساتر الذى يفصل قسم الفراش عن بقية الخيمة ..)

قطر الندى : (منادية) .. **بدر الدين ..**

بدر : (وهو يبرز من خلف الساتر ، وينظر فى حذر) **لمَ كانت هذه الضجة ؟ حُشِرَ رأسى بين الفراش والأرض ، فكادت روحى تزهق ! ..**

قطر الندى : جاءهم خائن من جماعة الحشاشين ، دلهم على مخاضة فى بحر أشموم .. عند قرية سلمون .. !

بدر : (وقد فوجئ ...) سيعبرون إلينا ؟!

قطر الندى : وأصدروا الأوامر للمشاة بإكمال الجسر ، عندما يزحزحون جيشنا عن التل الذى يرابط فوقه ...

بدر : الملاعين !

قطر الندى : وعند الفجر .. سيفاجئون معسكرنا .. فيأخذونه على غرة ... صحبهم الخائن الآن ليدلهم على المخاضة ..

بدر : هؤلاء الحشاشون الخونة .. كانوا عونًا دائمًا لأعداء العرب ، وسلاحًا ضد كل محاولة لتوحيد القوى العربية ... سنقضى عليهم ، وعلى الفرنج الذين يساندونهم ، مهما طال بهم الزمن ..

قطر الندى : .. لا يمكن أن تضيع المنصورة كما ضاعت دمياط ..

بدر : (وأصوات الأبواق والجنود والخيل تتعالى فى الخارج) لقد أخذ المعسكر يموج بحركة عنيفة .. إنهم يتهيئون لعمل واسع النطاق ... سيؤخرنى هؤلاء الملاعين عن العودة ..

قطر الندى : تجنب أى اشتباك .. احرص على وصولك سالمًا ..

بدر : ومتى يبدأ عبورهم ؟

قطر الندى : سيتم أخو الملك اجتياز المخاضة بعد منتصف الليل .. لكن الهجوم لن يبدأ قبل الفجر ، عندما يكتمل عبور فرسانهم ..

بدر : (متسائلاً ، وقد تذكر ما جاء من أجله) .. وقاربنا الصغير .. !؟

قطر الندى : لا وقت لهذا .. إنهم يتهيئون لالتهام مصر ، بشهية يثيرها جوع طويل ..

بدر : وهل ستعبرين معهم ؟

قطر الندى : بل سأعود مع الملكة إلى دمياط .. إذا .. إذا احتلوا المنصورة ..

بدر : إذن لن تعودى أبدًا معهم إلى دمياط .. (فى تصميم) قطر الندى .. يجب أن تأتى معى الليلة ..

قطر الندى : سأكون عبئًا عليك .. القارب لن يُعَدَّ قبل منتصف الليل ، وأنت تستطيع العودة وحدك قبل ذلك سباحة ..

بدر : هذه فرصتك للخلاص ! . يجب ألا أتركك وقد تهيأ سبيل لنجاتك ! ..

قطر الندى : إننى خائفة يا بدر الدين .. أول فريق من فرسانهم قد يتم عبوره قبل أن يأتى القارب الذى ننتظره ... ستضيع المنصورة لو تأخرتِ ، فلا يجتمع لنا شمل مرة ثانية ..

بدر : .. أريدكما كليكما .. أنت والمنصورة .. !

قطر الندى : (فى أسى ..) بل أنا " أو" المنصورة .. اختيار لا حيلة لنا فيه .. !

بدر : سيفرِّق المعتدون بيننا ثانية ! ..

قطر الندى : سأظل أحاول الهرب حتى أنجو ...

(يصمت بدر الدين ، تتنازعه الحيرة والقلق . تتساءل قطر الندى وهى تعانى معه قلقه وتردده ...)

.. بدر الدين ..

(يرفع رأسه متسائلاً ، والقلق والضيق يغمران وجهه ..)

بدر : **ماذا يا قطر الندى ؟!**

قطر الندى : (فى كآبة ..) **لا تفكر فى الليلة ...**

بدر : (فى صوت مشحون بالألم ..) **قد يكون فراقنا الليلة .. بغير لقاء ..**

قطر الندى : (وقد أخذ البكاء يخنق صوتها) **بدر الدين .. لا تجعلنى أضعف ..** (تدفعه برفق نحو المخدع ..) **عد إلى معسكرنا حالما تجد الطريق خاليًا .. اذهب قبل أن أتخاذل ...**

(يتجه بدر الدين فى خطوات مترددة نحو الساتر الذى يفصل قسم الفراش عن بقية الخيمة .. ثم يقف عند الساتر ، ويحوّل رأسه إلى قطر الندى ..)

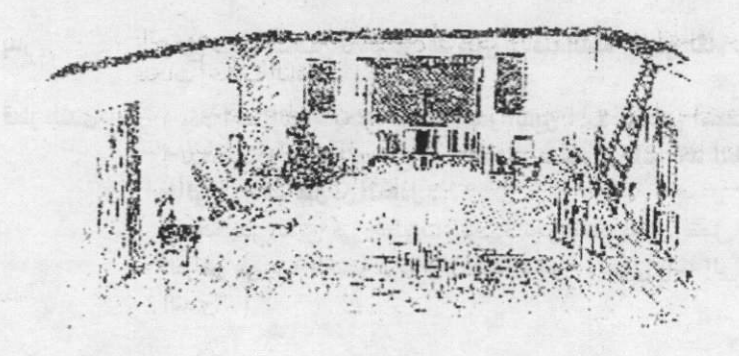
قطر الندى : **.. لا .. لا تبحث عن كلمة وداع .. دعنى أنظر إليك لحظة .. ثم اذهب .. اذهب واحرص على حياتك .. أنت أمل مصر اليوم ...**

بدر : (مودعًا مشجعًا) **قطر الندى .. اطمئنى ..** (فى تصميم) **لن تضيع المنصورة .. وستحمى المنصورة مصر ! ..**

(يختفى بدر الدين)

ينزل الستار

المنظر الثانى



(المنصورة . قبل شروق فجر يوم الثلاثاء ، الثامن من فبراير عام ١٢٥٠)

(أكبر الحجرات العلوية بالدار التى اتخذهـا بدر الدين وأسرتـه مقرًّا لهم ، والتى تقع فى أحد أزقة المنصورة الضيقة .

فى الصدر نافذتان ، مصنوعتان من أخشاب متقاطعة بينها فتحات ضيقة ، يمكن أن يلوح منها ما قد يبدّد الظلمة فى الخارج من أضواء .

بين النافذتين مشربية تطل على الطريق ، تبدأ من مستوى أرضية الحجرة ، وترتفع إلى ما يتجاوز قامة الإنسان ، ويستطيع الواقف فيها مراقبة الطريق كله عن يمين ويسار .

إذا فُتِحَت النوافذ - بما فيها نوافذ المشربية - عندما تلوح أضواء الفجر ، نستطيع أن نرى نوافذ ومشربيات الحجرات العلوية من المنازل المقابلة ، وأسطح تلك المنازل إذا لم تكن بها حجرات علوية .

على اليمين باب يؤدى إلى حجرة فاطمة وبدرية ، وبجواره سلم خشبى متنقل مستند إلى الجدار ، ينتهى إلى فتحة فى السقف ، تؤدى إلى سطح الدار .

على اليسار بـاب يُفتـح علـى السلم المؤدى إلى فنـاء المنـزل .

الأثاث من خشب بسيط .

مجموعات من القسىّ والرماح والفئوس فى أركان الحجرة .

• عندما يرتفع الستار ، نرى رجلاً حبشيًّا ضخم الجثة ، قد اشتمل بعباءة فضفاضة ، أخفت ملابسه وعنقه ورأسه ، فلا يظهر سوى وجهه ، وقد جلس على مقعد بجوار نافذة اليسار ، مسندًا رأسه إلى الحائط كأنه نائم . وهو من مكانه هذا ، يستطيع أن يرى أول الزقاق أسفل المنزل من فتحات أخشاب النافذة .

تدخل فاطمة من باب يمين ، وبدرية خلفها . تقف بدرية عند الباب تتبادل مع أمها نظرات متسائلة . تدفع بدرية أمها إلى الأمام تشجعها على الاقتراب من الرجل النائم . تتجه فاطمة نحوه مترددة ، وهى تستند إلى عكازها ...)

فاطمة : (وهى تهز الرجل بطرف يدها) **يا عم .. !**

الرجل : (كأنما أيقظته من غفوة) .. **هيه .. ؟!**

فاطمة : **لقد تجاوزنا منتصف الليل ..**

الرجل : (ولم يفق تمامًا من غفوته) **يجب أن أرى السيد بدر الدين ..**

فاطمة : **المتطوعون يستريحون تحت .. يمكن أن تجد لك مكانًا بينهم .. إنك تنام وأنت جالس على هذا المقعد الخشبى ... !**

الرجل : (سائلاً) **أين ذهب بدر الدين ؟**

فاطمة : (تتبادل النظرات مع ابنتها ، لا تدرى بماذا تجيب ، فهى نفسها قلقة لتأخر ابنها) .. **لم يعد بعد ..**

الرجل : **إننى هنا منذ العصر ...**

فاطمة : (فى صوت يشى بالغضب) **اقترحت عليك أن تنضم إلى جماعة مقدم**

الجند خالد بن شرابة ، إذا كنت تبغى التدرُّب على السلاح ، فاصررت أن تقبع فى هذا الركن صامتًا ! .. أما يكفينى قلقى لتأخر بدر الدين ، فتشغلنى أنت بكتمانك ما تريد منه ؟! ..

الرجل : (يُبرز من تحت عباءته قوسًا كبيرًا) أترين هذا يا خالة ؟! ..

فاطمة : (تصمت لحظة تردِّد فيها بصرها بين القوس وصاحبه - تستجمع خواطرها ، ثم تجيب ..) إذا كنت تجيد الرمى عن هذا القوس العظيم ، فيجب أن نعهد إليك بجماعة كبيرة ممن يَفدُون كل يوم .. ! كلهم يريدون حمل السلاح ... لقن بعضهم أصول هذا الفن .

الرجل : (ملاطفًا ..) إنك أم جديرة حقًا ببدر الدين يا خالة ...

فاطمة : (مكملة ..) .. أكثر من خمسة أعراب من اليمن والشام ، يستريحون فى حجرات الدور الأرضى . إنهم ينتظرون فارغى الصبر ، أن نعهد بهم إلى مثلك .. لتدريبهم على استعمال السلاح ... يمكنك أن تنزل الآن ، لتتعرف إليهم فى الصباح .. فهم منذ الساعة رجالك ... !

الرجل : (فى صبر ولطف) هل يقلقكِ وجودى هنا إلى هذا الحد يا خالة ؟ ... هل ذهب بدر الدين إلى بحر المحلة ، للإشراف على تركيب السفن .. التى أتت بها الجمال مفككة من القاهرة ، طبقًا لمشورة المعظم توران شاه ؟! ..

فاطمة : (تصدر عنها هى وبدرية فى نفس الوقت صيحة دهشة ، وهما تتبادلان النظرات ...) ..

الرجل : أنت ترين يا خالة .. أننى أعرف أكبر أسرار ابنك .. !

فاطمة : (متسائلة) إن هذه الخطة سر .. بعث به ابن سلطاننا من حصن كيفا بالعراق ، سر لا يعرفه إلا من يعملون فيه ! . وأنت لم تطأ أرض المنصورة



إلا اليوم ؟!

الرجل : **إننى قادم من حصن كيفا نفسه يا خالة ... !**

فاطمة : (وقد فوجئت ...) **أنت رسول من ابن سلطاننا .. ؟!**

الرجل : (محذِّرًا) **لنترك الحديث فى هذا الأمر الآن يا خالة ! ..**
(يجذب انتباهه شىء ما أسفل الزقاق ، وقد لاح بصيص نور من فتحات النوافذ - يقف فجأة ، ويخفى قوسه تحت ثوبه كما كان . يتخلى عن لهجته التى كان يحاول بها تهدئة فاطمة ، ويتجه نحو المشربية ليراقب الطريق . يقول وهو يشير إلى أسفل الزقاق)
مَنْ هؤلاء الثلاثة القادمون فى أول الزقاق يا خالة ؟

فاطمة : (وهى تنظر من فتحات النافذة) .. **رغم المشعل الذى معهم ، فلا أرى إلا عباءات تخفى وجوهم ...** (وهى تراقب الطريق ، وقد ساد الظلام خارج النافذة) **لقد أطفئوا مشعلهم ...**

الرجل : (مصغيًا إلى صرير باب ثقيل يُفتْح) **هل هذا صوت بابكم ؟ .. إنه يقع أسفل هذه المشربية ؟**

فاطمة : (تسرع إلى الباب الأيسر المؤدى إلى السلم . تسمع أصوات أقدام تصعد السلم الحجرى ، فتسأل منادية) **من القادم ؟ ...**
(يدخل ثلاثة أخفوا وجوهم بعباءاتهم . يقفون ليديروا عيونهم فى المكان إلى أن يستقر نظرهم على الحبشى . يحاول إحكام إخفاء وجهه ، فيصيح به أحدهم)

أول الملثمين : **الطواشى صبيح !؟ ..**

صبيح : (فى جفاء ..) **ماذا تريدون ؟**
(يزيل الثلاثة عباءاتهم ، فإذا أوسطهم امرأة رائعة الجمال ، تبدو على



وجهها كل دلائل القوة والإرادة والذكاء . إنها شجرة الدر ، ومعها بيبرس البندقدارى مقدِّم المماليك ، والطواشى جمال الدين محسن الصالحى ، الذى كان أقرب الناس إلى السلطان نجم الدين زوج شجرة الدر)

صبيح : (صائحًا فى دهشة ..) **مولاتنا السلطانة ؟ ! ...**

شجرة الدر : **أنا هى .. شجرة الدر أم الخليل ، التى تجاوَزْتها ، وجئتَ تطلب حاجتك من منزل بدر الدين .. !**

صبيح : (فى لهجة يُفهم منها أنه لا يرغب فى التحدث أمام بيبرس الذى لا يعرفه) **كنت أبغى أن يمهد لى بدر الدين .. مقابلة ، لا يعلم بها إلا عصمتك ، ونائب السلطان جمال الدين ..** (يشير إليه)

جمال الدين : (وقد فهم معنى نظرة الشك التى وجهها صبيح الحبشى إلى بيبرس) **وليس معنا سوى المقدم بيبرس البندقدارى ، قائد المماليك فى المنصورة** (يشير إليه) **.. إنه كتوم .. يحفظ السر ..**

صبيح : (ملتفتًا إلى فاطمة وقد انتحت جانبًا ، بما يعنى أنه لا يريد التحدث أمامها . يسأل جمال الدين مشيرًا إلى بيبرس) **وهل يعلم بما أبلغه إلينا الرسل ؟**

شجرة الدر : (ملتفتة إلى فاطمة) **اسمحى لنا يا خالة .. بيننا حديث خاص .. !**
(تدخل فاطمة وبدرية حجرة اليمين . تلتفت شجرة الدر إلى صبيح ، ثم تقول وهى تشير إلى بيبرس)
إنه الذى تولى نقل جثمان السلطان ، رحمه الله ، إلى قلعة الروضة بالقاهرة .. دون أن يدرى أحد ... (تسأل ..) **هل وصل سيدك توران شاه ..** (فى تأكيد لتزيل مخاوفه) **.. سلطان مصر المقبل ؟! ...**

صبيح : **إن إخفاء خبر موت زوجك السلطان حتى اليوم ، وتسليم كل أمور**

مصر إلى الأمير ابن شيخ الشيوخ ... أثار كثيرًا من التساؤل فى نفس سيدى ... ؟

شجرة الدر : (فى شبه غضب . محتدة) هل كنت تريد ، أنت وسيدك ، أن نعلن خبر وفاة السلطان ، فنهزم نفوس شعبنا .. وأفراده يجتازون أدق مراحل تاريخهم ؟! ... إن العدو يطرق أبواب مصر ، بل أبواب الشرق ، طرقا عنيفًا ... والمماليك الأكراد ، الذين أبعدهم السلطان والد سيدك ، ينتظرون لحظة يثبون فيها إلى الحكم ... (بعد لحظة ..) لقد حفظنا الملك لكم .. وأرسلت أستدعى سيدك ، رغم أنه ليس ابنى .. ونفذنا نصائحه قبل أن يتحرك من حصن كيفا : إن السفن تملأ الآن بحر المحلة - خلف معسكر الفرنج - كما أشار . ؟ مِمَّن تخشون ؟ ... ؟

صبيح : ... (يسكت) ..

بيبرس : (فى إقناع) لقد جَمَعَت سيدتنا الأمراء والأجناد ، وقالت لهم إن السلطان مريض لا يقابل أحدًا ، وإنه يأمركم بالحلف له ، ومن بعده لابنه المعظم توران شاه ، فحلفوا جميعًا ...

جمال الدين : (فى لهجة تقارب لهجة شجرة الدر وتغاير أسلوب بيبرس الذى كان هادئـًا) .. إن وحدة الصف كانت رائدنا فى هذه اللحظات الخطيرة من حياتنا ... ومع ذلك تتركنا أنت ، وتأتى لتجلس هنا منذ العصر .. ؟

صبيح : إن الأخبار تنتشر سريعًا فى هذا البلد الحصين ؟ .. عرفت أن بدر الدين يتزعم العامة والمتطوِّعين ، وأنه ينظم معكم أمور الدفاع عن المنصورة ، فأردت مقابلته .. حتى أعرف الأرض التى سيقف عليها سيدى قبل أن يأتى .. وإلا .. لنصحته بعدم المجىء ... ؟

شجرة الدر : (وقد لاحظت ما تحفل به الجملة من معانى) لسنا على استعداد للدخول فى خلافات ، وليس بيننا وبين الفرنج سوى بحر أشموم ؟ .. إنهم لو عبروا هذا النهر ، فسيكونون هنا خلال ساعة .. لقد استدعيت سيدك

لتولى السلطنة ، حتى تجتمع قلوب الناس حول قيادة موحدة ، تبث فيهم الثقة بالنصر ... ارجع لسيدك ودعه يُعَجِّل ، فكل شىء مهيأ لاستقباله ...

(تُسمع فى الطريق أصوات أقدام . تضاء نوافذ المنازل المقابلة ، فيظهر نورها من فتحات النوافذ والمشربية فى صدر المسرح ، ثم يُسمع صرير باب المنزل يُفتح ... إن هدوء البلدة الذى فرضه الليل ، يزول . يُسمع صوت بدر الدين)

بدر : (وهو يصعد السلم ، مناديًا فى لهفة وعصبية قبل أن يدخل) .. **أمى .. أمى ..**

(تخرج فاطمة وبدرية من باب اليمين ، ويدخل بدر الدين من باب اليسار ، وقد بان عليه الإجهاد ، وتعفَّرت ملابسه وتلوثت بالطين ، يلهث كأنما كان يجرى . يُفاجَأ بالموجودين . يتطلع إليهم لحظة .. يعرفهم . يهتف وقد فوجئ)

مولاتنا شجرة الدر .. ! لا تؤاخذى ما أنا عليه من حال .. ! (إلى بيبرس فى اندفاع عنيف) **يا قائد بيبرس .. بحثنا عنك طويلاً فلم نجدك .. أسرع إلى فرسانك ...**

جمال الدين : **ماذا جرى .. ؟!**

بدر : **فاجأ الفرنج جنودنا على تل جديلة ... وقُتِل الأمير ابن شيخ الشيوخ .. !**

الجميع : (فى أصوات فزعة ..) **قتل ؟! .. الأمير ابن شيخ الشيوخ ؟! . كيف حدث هذا ؟! ...**

بدر : **عبر الفرنج مخاضة عند قرية سلمون .. علمت الخطة من معسكرهم ... رقابة حرَّاسهم أضاعت منى وقتًا ثمينًا ... اتفق قادتهم ألا يبدأ هجومهم إلا مع الفجر ، لكننى عندما بلغت معسكرنا منذ ساعة ، وجدت العدو يقتحمه وجنودنا نيام ...**

جمال : هجموا قبل موعدهم بثلاث ساعات !! .. يا للكارثة ! ..

بدر : خالف أخو ملك الفرنسيس ما اتفق عليه مع بقية فرسان الفرنـج ... إن بقية جيش العدو لم تعبر بعد ! ...

شجرة الدر : (فى لهفة واضطراب) وما الذى دفعهم إلى هذا الهجوم المبكر ؟! قد تكون هناك خدعة .. !

بدر : قابلت فارسًا من رجالنا .. أخبرنى أنه كان عائدًا مع فريق من الفرسان ، وعند شاطئ قرية سلمون ، اكتشفوا تجمعات مَن عبر من فرسان الفرنج ، وقد كمنوا انتظارًا لعبور بقيتهم ... وكان فرساننا قلة ، فانطلق أخو ملك الفرنسيس خلفهم وفاجأ معسكرنا .. لولا هذا ... لكنت قد أنذرت جنودنا ، ولما تمكن الفرنج منهم ...

بيبرس : (وهو يتجه نحو باب اليسار) سأسرع بفرسانى ... لابد من نجدة لمَنْ فوجئوا على تل جديلة ..

بدر : (صائحًا ..) انتظر يا مقدم بيبرس ... إن نشوة النصر السهل ، قد تغرى أخا ملك الفرنسيس بدخول المنصورة ، وبابها الشرقىّ مفتوح لم ينته إصلاحه بعد ! ... يجب أن يبقى هنا من يدافع عن المدينة !

شجرة الدر : (فى حدة) ولم تفعل منذ اكتشفتَ الهجوم .. إلا أن جئت تبحث عَن بيبرس ! ..

بدر : لم أُضع دقيقة واحدة عبثًا ... تركت تل جديلة ، وأسرعت أنذر قادتنا وفرسَاننا ... لقد وضعنا خطة لمواجهة الموقف كله ، جيش المماليك بقيادة المقدم عز الدين أيبك ، يتجمع خارج المنصورة .. وأسرع الفارس أقطاى مع رجاله إلى المخاضة .. (لبيبرس) وطلبوا منى أن أبلغك يا مقدم بيبرس ، أن تتاهب مع جنودك فى ساحة القصر السلطانىّ ! ..

بيبرس : إن فرسانى يرابطون هناك ..

بدر : إذا لم يتمكن رجال أيبك من منع الفرنج من دخول المنصورة ، فإن الأعداء سيقصدون القصر أول ما يقصدون ، ردوهم عنه إلى أزقة المنصورة يا قائد بيبرس ... لقد بعثت رجالى إلى كل منزل فى البلد .. ستصبح الدور كلها قلاعًا خلال لحظات ..

شجرة الدر : .. وهل يعرف الأهالى كيف يقاتلون فرسان الفرنج ؟

بدر : متى تفَرَّق الفرسان القادمون فى الأزقة ، سينهال عليهم الموت من كل نافذة ومن كل سطح . لقد أصبح كل أهل المنصورة ومن وفَدَ عليها ، أسودًا كاسرة ... إنهم يترقبون هذه الساعة ليأخذوا بثأر دمياط ... ومَن يحاول من الأعداء الارتداد خارج البلدة ، سَيُطبِق عليه رجال أيبك ، فلا يفلت منهم أحد ...

بيبرس : (لشجرة الدر) عودى إذن إلى قصرك يا مولاتنا ... سنكون حولك خلال لحظات ...
(يخرج من باب اليسار)

شجرة الدر : (لجمال الدين) .. هيا يا جمال الدين .. لقد فاجأتنا الأحداث ...

بدر : (وشجرة الدر وجمال الدين يخرجان) ... وبعد قليل .. نفاجئ الفرنج نحن بالأحداث .. !
(تخرج شجرة الدر مع جمال الدين)

فاطمة : (متسائلة فى قلق شديد) سيدخل الفرنج المنصورة ؟! ..

بدر : ليس الآن وقت القلق يا أمى .. أسرعى .. أحضرى حجر الرحى .. والهاوَن الثقيل .. ! (تخرج فاطمة من باب اليمين ، يلتفت إلى بدرية) وأنت يا بدرية .. انزلى إلى الفناء .. أشعلى النار ، وضعى عليها كل ما لدينا

من أوانى .. املئيها بالماء والزيت ، واتركيها تغلى ..

بدرية : هل سنسلقهم أيضًا ؟!

بدر : دروعهم لا تحميهم من الزيت المغلى .. أسرعى .. انزلى ..
(تنزل بدرية من باب اليسار)

صبيح : ألا تريد أن تستفيد بى .. يا قائد !؟

بدر : أرى معك قوسًا ... هل تجيد استخدامه ؟

صبيح : إننى رسول المعظم توران شاه .. صبيح المعظمى !

بدر : (فى حماس) لقد بعثك الله فى هذا اليوم العصيب .. مكانك إذن بجوار هذه النافذة (يشير إلى نافذة اليسار) .. لترسل قوسك سهام الموت إلى عنق كل فارس يلوح لك ..

فاطمة : (وهى تدخل من باب اليمين ، تحمل حجر رحى بيدها غير المشغولة بالعكاز) سيحطم هذا الرحى أية خوذة يقع عليها ..

صبيح : (وهو يتناول منها الحجر ، ويضعه على الأرض أمام المشربية) سيكسر ظهر من يصيبه .. أين الهاوَن ؟

فاطمة : (وهى تعود إلى الداخل) سأُحضره ... لقد أصبح كل شىء سلاحًا !

بدر : (ينطلق إلى باب اليسار المؤدى إلى سلم الفناء . ينادى) يا رجال .. يا أعراب اليمن والشام ...

صبيح : .. أى استقبال رائع سيجده سيدى ، الشعب مع الجيش ، والعرب كلهم مع مصر ..

بدر : (لصبيح) **كل قوى الشرق قد عُبِّئَت مع مصر ..** (ينادى ثانية خلال باب اليسار) **يا رجال ...**
(يدخل فى حماس ستة أعراب)

عربى أول : (وهو يدخل مع الآخرين) **تبدّد سكون الليل .. وشُغِل البلد بحركة عنيفة ... أقبلت اللحظات الحاسمة ..**

بدر : (سائلاً إياهم) **هل بينكم من يجيد استعمال القوس والسهام ؟**

عربى ثان : **أنا ... لقد كنت أصيب الهدف ، على مسافة خمسين قَصَبَة ..**

بدر : (مشيرًا إلى نافذة اليمين) **إذن تبقى بجوار هذه النافذة ..** (يشير إلى قوس فى ركن الحجرة) **هذه أقواس .. اختر لك واحدة منها ..** (يلتفت إلى اثنين من الباقين) **خذا أثاث البيت كله ... أنزلاه وكوّماه خلف باب الطريق فى الطابق الأرضى . حصِّنا الباب لكى لا يستطيع إفرنجى يفرُّ إلى زقاقنا أن يدخل البيت ..**

أحد الرجلين : **ولا نشترك فى المعركة ؟**

بدرية : (وهى تدخل) **الأوانى كلها فوق النار ..**

بدر : (وهو يتناول رمحًا من الأرض . يقول لبدرية) **هاتى الساطور يا بدرية ..** (تدخل بدرية حجرة اليمين . يعطى بدر الرمح لأحد الرجلين) **استعمل هذا الرمح إذا حاول عدو اقتحام الباب ...**

بدرية : (تأتى بالساطور) **وهذا ساطور اللحم والسمك ..**

بدر : (لبدرية) **انزلى راقبى النار ..** (تنزل بدرية ، ويعطى بدر الساطور إلى العربى الثانى الذى كلفه بتحصين باب الطريق وهو يقول) **وهذا الساطور .. يشج الرأس بضربة واحدة .. أسرعا ..**

(يأخذ الرجلان فى حمل الأثاث ، ويخرجان به)

عربى ثالث : (وهو يتناول فأسًا) **سآخذ أنا هذه الفأس ...**

بدر : (للثلاثة أعراب الباقين - وفيهم من تناول الفأس - وهو يشير إلى السلم المؤدى إلى السطح) **بل اصعدوا إلى السطح بهذا السلم .. انزعوا من سياجه الداخلى ما به من أحجار .. كوّموها قرب الحافة المطلة على الزقاق .. أسقطوها على من يصل من فرسان العدو ..** (يفتح نافذة ، ويشير إلى منزل مقابل ، وقد أخذ الفجر يشرق ، فيبدد الظلام) .. **انظروا .. إن جيراننا فى الناحية الأخرى من الزقاق يفعلون مثلنا .. اصعدوا ...**
(يأخذ الرجال الثلاثة فى تسلق السلم صاعدين إلى السطح واحدًا وراء الآخر . يطل بدر من النافذة ، ويصيح بجيرانه المقابلين)

بدر : (مناديًا من النافذة) **يا معين .. هل حَصَّنتم بابكم جيدًا ؟!**

معين : (من سطح المنزل المقابل) **لن يفلت واحد من الأعداء ..**

بدر : **سنجعلها مذبحة .. أطفئوا الأنوار حالما تنتهون .. يجب ألا يتنبه الأعداء أننا فى انتظارهم .. يجب أن نأخذهم على غرة ...**

صوت أول : (ينادى من منزل آخر) **كوّموا حجارة كثيرة ...**

صوت ثان : **أغلقوا النوافذ ...**

صوت ثالث : **أطفئوا الأنوار .. بدر الدين يقول " أطفئوا الأنوار .. "**

بدر : (يغلق النافذة ، ويذهب ليطل من الباب المؤدى إلى فناء المنزل .. ينادى) **يا رجال ...**

عربى : (من أسفل) **لن يدخل إنسان إلا على جسدينا ...**

صبيح : **لن يفلت فارس أجنبى من هذه المصيدة !** (لبدر) **تأكد بنفسك أن كل شىء على ما يرام .**
(ينزل بدر الدين من باب اليسار المؤدى إلى الفناء)

بدرية : (تدخل وهى تحمل وعاءً كبيرًا من أوعية الطبخ بين يديها . تقول وهى تهم بوضع الوعاء بجوار المشربية) **سنقليهم فى الزيت المغلى ونتركهم وليمة مطهوة للغربان ! ..**

صبيح : **أُدْخلى الوعاء إلى الحجرة الداخلية ... اقذفوا بالزيت من نوافذها حتَى لا تعيقوا حركتنا ونحن نرمى السهام من هنا ..**
(تدخل بدرية إلى حجرة اليمين ، وأثناء دخولها تخرج أمها تحمل الهاون)

بدر : (يدخِل من باب اليسار يحمل وعاء كبيرًا) **أطفئوا الأنوار ... لقد سمعت أصواتًا .. يبدو أن المعركة بدأت ..** (يعطى الوعاء لبدرية التى أحضرت حجر الرحى الثانى . تأخذ الوعاء وتدخل إلى الحجرة الداخلية ، تتبعها والدتها ..)
(يطفئ بدر الدين السراج والشموع الكبيرة ، فيعتم المسرح إلا من شموع ضئيلة . ترتفع من الخارج ضجة ، تترامى من مسافة ما)

بدر : (وهو يفتح النافذة ، وينادى الجيران) **أطفئوا الأنوار .. لقد بدأت المعركة ...**
(يدخل غرفة اليمين ، ويُسمع صوته يردد نفس النداء من نافذتها)

أصوات أخرى : (تتجاوب من الأسطح والنوافذ) **أطفئوا الأنوار ... أغلقوا النوافذ ...**
(أصوات إغلاق النوافذ - يترامى نداء كأنه الآذان)

النداء : **حىّ على الكفاح .. الله على الأعداء ! ..**

صبيح : (فجأة ، وهو يراقب الطريق من النافذة) .. **لقد بدءوا يدخلون الزقاق .. وقعوا فى المصيدة** .. (يصيح) **هذا أولهم** .. (يشد قوسه .. يطلق سهمًا . تسمع صيحة ألم عالية فى الزقاق . يصيح فى انتصار ..) **لقد أصبته .. انغرس السهم فى عنقه** .. (تسمع صيحات ألم أخرى ، وصهيل خيل تجرى)

العربى : (الجالس يترقب فى النافذة الأخرى وقوسه فى يده) **لقد دخل ثلاثة آخرون ... إنهم يسقطون فى سرعة .. الجيران لا يتركون لنا من نقتله !** .. (يصيح وقد توتر صوته ، وهو يشد قوسه) **آه .. هذا واحد سقط حصانه من تحته** .. (يرمى السهم وهو يصيح به ..) **إلى أين تذهب .. خذ** .. (ترتفع صيحة ألم عالية)

أصوات : (تترامى زعقات وصيحات منتصرة عالية من المنازل والأسطح والنوافذ المجاورة) **اقذف .. الق عليه .. صُبُّوا الماء المغلى** .. (تسمع أصوات أحجار تسقط ، وأنات جرحى يتألمون ، وخيل جريحة تصهل وأخرى تجرى)

بدرية : (تأتى من حجرة اليمين) **لقد صَبَّ بدر الدين الزيت فوق رأس أحدهم ، فسقط يعوى كالكلب المسعور !** ..
(تخرج من باب اليسار لتنزل إلى الفناء)

بدر : (فى حماس ، وقد أتى بعد أخته من الغرفة الداخلية . يتطلع إلى فتحة السطح .. ينادى) **يا رجال .. اقذفوا الأحجار .. سددوا الرمى** .. (يلتفت إلى صبيح) **إن سهامك لا تخيب ... لا تترك منهم أحدًا !** ..
(تُسمع طرقات شديدة ، ثم خبط عنيف على باب البيت . يسرع بدر إلى المشربية ويلقى نظرة ..)

بدر : (فى عصبية) **يحاولون دخول البيت** (يلتفت حوله فيرى حجر الرحى ، يحمله فى سرعة ، ويفتح نافذة المشربية ، يرفع الحجر عاليًا فوق رأسه ، ثم يقذف به فى شدة إلى أسفل . تنطلق صرخة ، فيهتف) **لقد**

أصبته !
(يعود ويتناول حجر الرحى الآخر . يقذف به أيضًا هاتفًا)
خذ هذا أيضًا ... !
(يعود ليأخذ الهاون ، فيصيح به صبيح ، بعد أن أطل من المشربية)

صبيح : **لقد كتمتَ أنفاسه .. لم يعد فى حاجة إلى هذا ! ..** (يشير إلى الهاون) (تدخل بدرية بوعاء ماء مغلى آخر من باب اليسار ، وتخرج به من باب اليمين . تدوى طرقات ، فيندفع بدر الدين إلى باب اليسار المطل على الفناء ، ويصيح بالرجلين اللذين يحرسان الباب)

بدر : **لا تدعا أحدًا يدخل .. اقتلا من يحاول فتح الباب ...** (ثم يعبر الحجرة ليصيح من أسفل السلم المتنقل المؤدى إلى السطح) **الأحجار .. لا تكفوا عن قذف الأحجار ..** (يأخذ قوسًا ، ويتخذ مكانًا عند نافذة اليسار بعد أن احتل صبيح المشربية . يأخذ بدر فى رمى السهام هو وصبيح والعربى ، وأصوات تتعالى فى الخارج)

الأصوات : **اقتلوهم ... اذبحوا من لم يمت ..**
(يكف الثلاثة عن قذف السهام ، ويفتحون النوافذ عن آخرها ، ويتطلعون إلى الطريق)

بدر : (هاتفًا) **أهل البلد يتدفقون إلى الزقاق ...**

صبيح : (وقد تعالت هتافات من الطريق) ... **ليتأكدوا أن الصرعى من الفرنج قد ماتوا ..**
(يقف الثلاثة لمشاهدة الناس فى الطريق ، وقد ارتفعت هتافاتهم . خلال حديثهم وانشغالهم بما يجرى فى الزقاق ، يظهر من باب اليسار ، أحد العربيين اللذين كانا يحرسان باب الطريق ، مخضَّب بالدماء ، وفى صدره رمح .. يسقط ميتًا دون أن يتنبه إليه مَن شغلتهم مشاهِد النصر وهتافاته ... يدخل خلف العربى فارس من الفرنجة جريح ، على صدره شارة زهرة الزنبق ، يستند إلى الجدران وسيفه فى يده . يرى قاذفى السهام ، فيتقدم

بجوار حائط اليسار، لكنه لا يلبث أن يسقط على الأرض إعياء، ومع ذلك يواصل تقدمه زاحفًا، متأهبًا لطعن بدر الدين. تخرج فاطمة من باب اليمين، فتراه. تسرع نحوه، وترفع عكازها بيديها، وفى ضربة واحدة قوية تنهال به على رأسه)

فاطمة : (صارخة) **يا ملعون ..**
(يصرخ الفارس صرخة واحدة، ثم يسقط منكفئًا على وجهه، وتقع فاطمة جالسة على الأرض. يلتفت الثلاثة الواقفون بالنافذة مأخوذين. يسرع بدر الدين إلى والدته)

بدر : (صائحًا فى جزع) **أمى .. !**

فاطمة : **كاد يقتلك ... الحمد لله .. !** (يعين بدر الدين أمه لتقف)

صبيح : (وهو يركل جسد الفارس فيقلبه على ظهره) **لقد مات ...**

بدر : (صائحًا، وهو يحدّق فى صدر الفارس القتيل) **شارة زهرة الزنبق !!** (فى فرح طاغ) **أخو ملك فرنسا ! ..** (ينزع الشارة، وينطلق بها إلى النافذة. يلوِّح بالشارة إلى الجموع التى فى الطريق، والتى لا نشاهدها لأن الحجرة فى الدور العلوى، لكننا نسمع هتافاتها. يصيح) **قتلنا قائد الأعداء .. ! قتلت أمى أخا ملك الفرنسيس .. !**

هتاف : (يتعالى هتاف الجماهير) **هيه .. هيه ..**
(تتجاوب الزغاريد فى النوافذ، ويُسمَع الناس ينادى بعضهم بعضًا فى فرح وانتصار)

نداء : **قتلوا قائد الفرنسيس ..**

نداء آخر : **أم بدر الدين، قتلت أخا ملك الفرنسيس ..**
(يتدافع الناس من باب اليسار فى ضجيج، وينزل الأعراب الثلاثة الذين

كانوا بالسطح . يُسمع صوت ينادى)

الصوت : **أفسحوا الطريق .. القائد بيبرس .. مقدم المماليك القائد بيبرس البندقدارى ...**
(يدخل بيبرس مندفعًا فى حماس)

بيبرس : (لبدر ، فى بهجة وانتصار) **لم ينج واحد ممن دخلوا البلد .. تمت الخطة كما قدرنا ...**

بدر : (مشيرًا إلى من تجمع فى الحجرة من أبناء الشعب) **يحيا شعبنا الذى لا يُهْزَم .**

بيبرس : **حُصرَ فرسان الفرنج بين رجالى فى الداخل ، ورجال أبيك فى الخَارج .. فانهال عليهم الآلاف من أبطال الشعب بكل لون من ألوان الموت ، فسحقوهم ! .. أفنوهم ! .. أفنوهم عن آخرهم .. !**

صبيح : (هاتفًا فى بهجة) **أفصح الشعب عن قوته الكامنة ! ..**

بيبرس : (مكملاً) **.. وأتتنا الأخبار بأن السفن التى نقلناها إلى بحر المحلة ، فاجأت سفن العدو القادمة من دمياط ، فأسرت ثمانين سفينة ... لن تصل الأعداء منذ اليوم أية إمدادات .. لا زاد ولا رجال !! ...**
(يدخل فارس مصرى يلهث)

الفارس : **سيدى بيبرس .. انتقمنا لما فعله الفرنج بمعسكرنا ..**

بيبرس : (هاتفًا) **انتصارات فى كل ميدان ...** (للرسول) **ماذا فعلتم بهم ؟!**

الفارس : **استقبلنا بقيتهم وهم يعبرون المخاضة .. قَتَلَت سهامنا من كان فى الماء منهم ، واشتبكنا مع مَن عبروا فى ملحمة هائلة ، حتى غطى صرعاهم وجه الأرض ، وصبغت دماؤهم سطح الماء ...**

بدر : هل بقى منهم من يقاوم ؟

الفارس : أرادوا الارتداد ، فَذُهلوا عن الموضع الذى عبروا منه ! .. لقد حطمنا مقدمة قواتهم ، حتى أرسل ملك الفرنسيس .. يطلب الهدنة ! ..

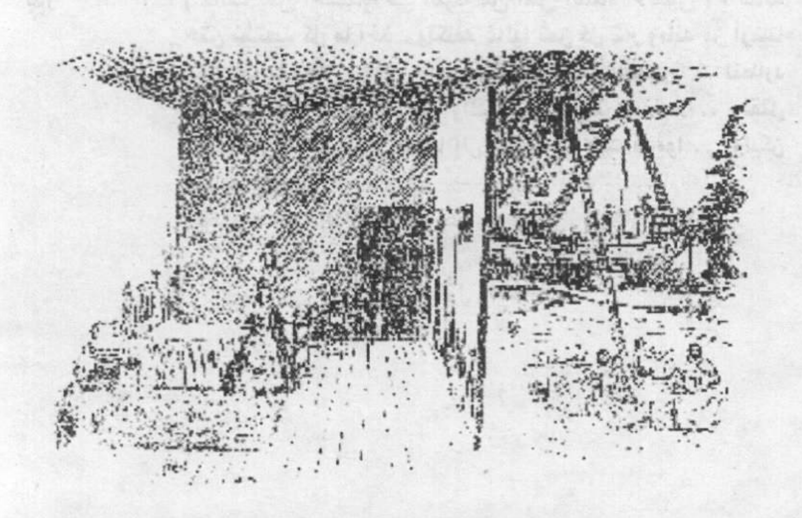
بدر : (هاتفًا بمن احتشدوا فى الغرفة من أهل البلدة الأبطال) **لا هدنة حتى نستعيد كل ما أخذ ، ونكلفه غاليًا ثمن كل شبر وطنه من أرضنا .. ! هيا يا رجال .. إلى خارج المنصورة لنكمل انتصارنا .. لنطارد الفرنج ونمنع عنهم الراحة والقوت .. سنأسر سفنهم .. ونقتل رجالهم .. ونلقى بهم جميعًا إلى البحر من حيث قدموا ... وليكن قتالنا حتى النصر ! ..**

(ترتفع هتافات أفراد الشعب وهم يتدفقون إلى الخارج)

ينزل الستار

الفَصْلُ الثَالِث

المنظر الأول



(عند ظهر يوم الأربعاء السادس من أبريل عام ١٢٥٠ . قرية منية عبد الله الواقعة على الشاطئ الشرقى لفرع دمياط بالقرب من فارسكور ، بين دمياط والمنصورة) .

(المسرح يشمل الساحة الواقعة بين المزارع المجدبة على شاطئ النيل - فرع دمياط ، وأول منازل القرية الظاهر إلى اليسار .

فرع النيل فى الخلف ، رست على شاطئه سفينة حربية من سفن الصليبيين ، جلس بحارتها فيها وبجوارها ، ونبات الحلفاء ، الذى نما طويلاً وكثيفًا ، يخفى بعضهم .

بالساحة بضع نخلات وقطع من جذوع الأشجار ، جلس عليها وعلى الأرض حولها ، أكثر من مجموعة من الجنود الصليبيين ، منطرحين أو

متساندين فى إعياء ويأس ، وقد بان عليهم الإرهاق والضعف من المرض وسوء التغذية .

البيت الذى إلى اليسار من بيوت الفلاحين العادية ، لكنه جيد البناء . الغرفة الأمامية منه ظاهرة كلها أمامنا . بالحائط الأيمن للغرفة نافذة ، وباب يؤدى إلى الساحة ، وفى صدرها إلى اليمين ، باب يؤدى إلى بقية غرف الدار .

أثاث الغرفة بسيط جميل ، وإبريق خمر قد وضع فوق منضدة بجوار فراش بالجانب الأيسر .

إنه منزل سيمون ، الغانية التى أتت من ضواحى باريس فى ركاب حملة القديس لويس ، تبيع المتعة لرجالها وبحَّارتها ، وقد احتلته بعد أن هجره أهله من الفلاحين أمام زحف الصليبيين ، فهو يقع فى قرية على الطريق المؤدى من دمياط إلى من كانوا محصورين أمام " بحرٍ أشموم " ، والشاطئ أمامه صالح لترسو عليه السفن ، مما جعل القرية محطًا للتموين ، لا تخلو من الحرس والبحارة والفرسان .

عندما يرتفع الستار ، نرى سيمون جالسة على حافة الفراش ، وبين يديها ثوب كانت تطرزه ، لكنها تضع يديها الآن فى حجرها ، ممسكة بالثوب ، ساهمة واجمة .

يدخل المسرح من اليمين ، ريشار ومارسيل ، يسندان جوزيف بينهما ، وهو لا يكاد يستطيع المشى ، وخلفهم جاستون . الجميع قد اصفرَّت وجوههم ، وبهَت لون شفاههم . يسرع جاستون إلى باب الدار ، ويطرقه فى عنف) .

جاستون : (ينادى فى شدة وإلحاح) .. **يا سيدة باريس .. افتحى .. زبون متعجل ...**

سيمون : (تطل من النافذة ، وقبل أن تتبين الطارق ، تصيح فى نفاد صبر) **الزم الأدب ! .. ليس عندى طعام .. قلت ليس عندى شىء أقدِّمه لكم ..**

جاستون : **افتحى هذا الباب وإلا حطمته .. إنك لم تغلقيه ليلة واحدة فى وجه رجل ، خلال عمرك المديد ..** (يعاود طرق الباب بقدمه وقبضة يده)

سيمون : (فى غضب ، وقد تبينت الطارق) **أنت أيها الرجل المتحذلق ؟! ... لعل سهمًا يكون قد أصاب قلب سيدك القاسى ، الذى قضى ليلة يحطم ضلوعى بين ذراعيه ، ثم أعطانى أجرى صفعة فى الصباح ..**

مارسيل : (صائحًا ، وهو يترك جوزيف مع ريشار ، ويتقدم) **أيتها المرأة .. معنا زميل تكاد الحمى تقتله .. اصنعى معروفا مرة فى حياتك .. لن يضيق فراشك بالمرضى ، وقد اتسع دائمًا للأصحاء ...**
(يعاود جاستون الطرق فى عنف ، فتسرع سيمون نحو الباب . تفتحه وتخرج إلى الساحة)

سيمون : (فى حدة ، وقد خرجت) **لقد أعددت منزلى لاستقبال جلالة الملك ...** (تشير إلى السفينة على شاطئ النيل) **.. سأستضيفه قبل أن تحمله هذه السفينة مع الملكة إلى دمياط ... لا أستطيع إدخالكم ..**

ريشار : **أدخلينا ، فلن يسافر قبل الانتهاء من مفاوضاته مع المصريين ! .. إنهم يقررون الآن مصير الحملة كلها !**

سيمون : **وماذا يهمنى أنا ، والمماليك هم الذين يطلبون الصلح ؟!**

مارسيل : **بل نحن الذين نتلهف عليه ... الجيش كله ينتظر بفارغ الصبر ما تسفر عنه المفاوضات !**

ريشار : **إنها أملنا الوحيد ، وتهمك كما تهمنا ... دعينا ننتظر أخبارها فى بيتك ...** (يُرقد جوزيف على الأرض ، ويقول فى استعطاف) **أخبرنى زميلى جاستون ، أن لديك خبز أبيض !**

جاستون : (وقد تَمَسْكَن) **لم نأكل منذ ليلة أمس ... ومنذ خمسة أيام ، لا نأكل إلا لحوم الخيل والبغال المريضة ، نذبحها وهى تموت جوعًا ..**

سيمون : (لجاستون ، فى شماتة) **منذ أسبوعين ، كنت تعاون سيدك فى**

ضربى ! .. واليوم ، تستجدى منى الطعام ! (تقلد لهجته) ألستْ أنا " العجفاء التى لا تساوى بصلة " ، كما قلت لسيدك ؟! (تعود رنة الغضب إلى لهجتها) لا .. ليس لدى طعام ، إلا ما سأقدمه إلى جلالته ...

مارسيل : (فى غضب) هاتى ما عندك .. لن يدخل الملك بيتنا كهذا ...

سيمون : (تشير إلى الجنود فى أنحاء الساحة) قال لى هؤلاء المرضى الذين أنزلوهم من تلك السفينة ليركبها الملك .. إن المرض وقلة الغذاء يقلقان جلالته أمام بحر أشموم ... كيف يسافر ملكنا إلى دمياط دون أن يستريح ، أو يتناول شيئًا من الطعام ؟

مارسيل : (لجاستون) هل تسمع يا جاستون ؟ ... المأوى للملك .. والطعام للملك .. ثم يتركنا نموت ويذهب إلى دمياط !

سيمون : لا تقل هذا عن ملكنا الطيب ! .. سألتمس من جلالته الغفران عندما أضيق بأمثالكم ، وأعتزم العودة إلى فرنسا ...

مارسيل : هل تظنين أنك ستعودين ؟! ... " قَدَاسَتُه " لم تُردَّ عنا بضع مئات من المصريين ، يذبحون الآن آلافًا من زملائى أمام فارسكور ...

سيمون : (فزعة دهشة) وماذا أتى بالآلاف منكم إلى فاسكور ؟

جاستون : كنا نحاول إنقاذ ما يمكن انقاذه ، بالعودة إلى دمياط خلال الوقت الذى نربحه بالمفاوضات ، لكننى أرى الآن .. أننا لن نذهب إلا إلى باطن هذه الأرض التى نقف عليها ...

سيمون : (جزعة ، وقد داخلها الخوف) غير صحيح ما تقولون ... لقد راقبتُ جحافل جيشنا تذهب إلى المنصورة .. مئات السفن رسَت هنا ليستريح بحارتها ... آلاف غفيرة من الفرسان والمشاة وحَمَلَة الأقواس توقفوا

عند هذه القرية ، يومًا بعد يوم ، قبل أن يواصلوا سيرهم .. (تلتفت إلى مارسيل وجاستون ، غير مصدِّقة ما قالا) كل هؤلاء .. لا يمكن أن يُهزموا .. ؟!

مارسيل : كلهم تعثروا فى الطريق .. تساقطوا كقطيع أنهكه طول المسير ، فترامى على الأرض لاهثًا ...

جوزيف : (يئن وهو مستلق على الأرض . يقول فى حشرجة) .. آه .. سأموت ... اقتربت نهايتى ...

جاستون : (مشيرًا إلى جوزيف) هل ترين زميلنا هذا ؟ .. سيجعلك الوباء تخافين بعد قليل من النظر إلى وجهه ... سيصبح الاصفرار الذى كسا به الجوع وجنتيه ، احمرارًا لامعًا ، وتحتقن عيناه .. ويتدلى لسانه مشققًا مسودًا .. ثم تسلمه غيبوبة الحمى إلى منجل القضاء الرهيب ...

ريشار : (فى كآبة ، وقد تذكر كل ما مر بهم فى ليلتهم ويومهم) المصريون والجوع والوباء .. أف لرائحة الموت .. تملأ خياشيمى مع رائحة الطين ..

سيمون : (باكية) لا .. لا يمكن أن تتخلى السماء عن ملكنا القديس ..

مارسيل : (فى سخط ..) قدَّسه رجال الدين ، حتى وضعوه فى جيوب أرديتهم الفضفاضة ... أضاعونا معه هذه المرة ! .. لم يحسب أحد حساب شعب مصر !

(تسمع أصوات جياد متعددة تقترب ثم تتوقف . تمد سيمون بصرها إلى المكان الذى سبق أن دخل منه مارسيل وزملاؤه)

سيمون : (لمارسيل ، وهى تتطلع) اسكت .. لقد وصل جلالته مع الملكة ...

ريشار : إذن لابد من أنهم وصلوا إلى اتفاق مع المصريين ...

مارسيل : أو قرروا أن نفنى جميعًا ! ..
(تقترب الضجة . يدخل الملك مع الملكة إلى المسرح من اليمين ، وخلفهما قطر الندى يمسك بها الفارس جون ، يتبعهم الكاردينال روبرت وسارجين وفيليب . تجرى سيمون مسرعة نحو القادمين ، تركع أمام الملك ..)

سيمون : مولاى .. شرفنى بزيارة منزلى المتواضع ، قبل أن ترحل ..

الملك : (فى إعياء ، وهو ينظر إلى من حوله) من قال إننى راحل !؟

سارجين : (مشيرًا إلى الجنود المنتشرين ، ثم إلى السفينة) لقد ترك هؤلاء المرضى مكانهم فى تلك السفينة منذ أمس ، لتبحر بها جلالتك إلى دمياط .. لا مفر من سفرك اليوم ! .. المرض يشتد بك ، ويكفينا من ذبحهم المصريون من رجالنا منذ بدأ انسحابنا أول أمس ! .
(تقف سيمون جانبًا تتابع باهتمام مع الجنود ما يجرى)

الملك : قررت الرحيل قبل أن يدهمنا المصريون عند فارسكور .. (فى تصميم) أما الآن .. لن أترك رجالى ، والمعركة على أشدها هناك ...

سارجين : إنها ليست معركة .. بل مذبحة !! .. (فى سخط) .. كان يجب أن يبدأ انسحابنا منذ منع المصريون عنا سفن الطعام .. منذ انتشر فينا الوباء ! ..

الملك : ذهابى إلى دمياط ، هروب من المعركة ! ... جنودى يكافحون الآن دفاعًا عن شرفى ...

سارجين : بل يكافحون من أجل حياتهم هم !! ... لو أُخِذُوا أسرى قبل عقد الصلح ، لفقدوا رءوسهم جميعًا ! ..

الملك : (بإصرار) .. لقد أرسلت السير دى جوانفيل لعرض شروط صلح معقولة على المصريين ... سنضع نهاية لكل شىء ! ..

فيليب : (وهو يصر بأسنانه) .. نهاية لأحلامنا .. !

الملك : (مؤنبًا) يجب أن نتجلد ، فى هذه اللحظات التى ازدحمت فيها الخطوب علينا ... (يلتفت إلى الملكة) ... يا زوجتنا العزيزة ... الحكمة تملى أن تبحرى بالسفينة الراسية هنا ، وتسبقينى إلى دمياط .

الملكة : وأترك جلالتك وأنت على هذه الحال من المرض ؟! ..

الملك : لسنا ندرى ماذا تحمل إلينا الساعات القادمة ... (مشيرًا إلى الفارس جون) سيرافقك السير جون ... اذهبى أنت ووصيفتك .

قطر الندى : أنا لن أذهب ! ...

جون : (فى جفاء) اصمتى أيتها الفتاة العنيدة ! .. بالأمس تحاولين الهرب للمرة السابعة ، واليوم تعطين نفسك حق الاعتراض على الرحيل !؟ ..

الملكة : (لقطر الندى) لو بَقِيت ، لانتقم منك جنودنا لما يحسونه من ذل أمام أهل بلدك ! ..

قطر الندى : وجودى معكم مذلّة لأهل بلدى ... أعود إليهم ولو مت فى سبيل ذلك ! ..

جون : (حانقًا) هل سيتعذر علينا الاحتفاظ بأسيرة ، وقد سقط نصف جيشنا وسفننا فى الأسر اليوم ؟! ..

الملكة : (فى قلق) كيف تامنون إذن أن أرحل فى سفينة ؟! .

الملك : لقد خلّفنا وراءنا بحر المحلة ، الذى تَكْمُن لنا فيه سفن المصريين ..

الملكة : أى بشاعة أن تسقط ملكة أسيرة ، بين أيدى جنود منتصرين ! ..

الكاردينال : السفن أكثر أماتا من الشاطئ ...

الملكة : والموت أفضل من الأسر .. (لجون فى حزم) يا سير جون : لو أُسِرَتْ سفينتنا ، فعليك واجب يجب أن تقسِم على تاديته ..

جون : أى واجب يا مولاتى !؟

الملكة : أن تَقطع رأسى ، بضربة واحدة من سيفك ! ..

الملك : لماذا هذه الخيالات يا زوجتنا ؟! ..

الملكة : (فى تصميم ، لجون) أقسم يا سير جون ، وإلا فلن أضع قدمًا على هذه السفينة ...

الملك : (آسفًا) لقد فقَدْتِ كل ثقة فى الله يا زوجتنا ! ..

الملكة : إن الله لم يكن معنا فى أية خطوة خطوناها هنا ... لفظ " الله " ، لم يكن بالنسبة إلى القادمين جميعًا ، إلا مجرد رمز .. شعار يسترون به أطماعهم ومفاسدهم .. (لجون) أقسم يا سير جون ! ..

الملك : (مستسلمًا) لا حاجة به أن يفعل ذلك أمامى ... إن السفينة تنتظر ...

الملكة : (لقطر الندى) هيا يا قطر الندى !

قطر الندى : (محتجة) سترحلون قريبًا عن مصر .. ما حاجتكم عندئذ إلى مصرية لا تريد البقاء معكم !؟

جون : (لقطر الندى) **إذا أرادوا إغراقنا فى الطريق ، فقد يتركوننا ، إذا علموا أن معنا فتاة مصرية .. هيا ...**
(يمسك قطر الندى من ذراعها ، ويجذبها نحو السفينة)

قطر الندى : (وهى تقاومه فى عنف) **أتمنى أن يُغرقونا ، فأهرب أو أموت !**
(تدخل الملكة السفينة ، بينما يدفع جون قطر الندى إلى داخلها)

الملك : (وقد وقفت الملكة فى مقدمة السفينة) **شجعى رجالنا فى دمياط يا صاحبة الجلالة .. قاوموا حتى النهاية .. دمياط هى الورقة الأخيرة ، التى يتفاوض عليها رسولنا الآن معهم ..**
(تتحرك السفينة مختفية من يسار المسرح)

الملك : (لمن حوله) **دعونا نجلس حتى يصل جوانفيل ... ساقاى تخذلانى ...**

سيمون : (تتقدم من مكانها الذى كانت تقف فيه) **تفضل يا مولاى .. ان منزلى معد لاستقبال جلالتك ...**

الكاردينال : (ينهرها) **كيف تجرئين ؟! .. لقد حدثنى الرجال عن .. جحرك الموبوء !**

سيمون : (فى سخرية خفية) **سيطهّر دخولكم بيتى المتواضع ! ..**

الملك : (للكاردينال فى إعياء) **إننى فى غاية الضعف والإرهاق يا كاردينال ..** (لسيمون) **أين منزلك يا سيدة ؟**

سيمون : **تفضل جلالتك** (تتقدمه إلى باب بيتها وهى تقول) **لقد أعددت لكم طعامًا جيدًا ...**

الملك : (يتوقف) **لا ...** (يلتفت إلى جاستون وريشار ومارسيل ، ويقول

لسيمون) **اعطى هؤلاء الرجال حاجتهم من الطعام ..**

ريشار : (فى صوت خافت) **شكرًا يا مولاى ...**

(يدخل الملك المنزل . تهم سيمون بأن تتبعه ، فيستوقفها الكاردينال)

الكاردينال : (لسيمون ، همسًا) **لا تعط شيئًا لهؤلاء الرجال .. إذا لم يأكل الملك .. سآكل أنا ...**

(تمعن سيمون النظر لحظة فى عينيه ، فيحول وجهه عنها . تتركه وتدخل الدار . تتأمل الملك الجالس على حافة الفراش فى إعياء وقد غرق فى التفكير ، ثم تختفى داخل الدار من الباب الذى فى يمين الحائط المواجه . يهم الكاردينال بدخول المنزل ، لكنه يتردد عندما يلاحظ أن سارجين وفيليب لم يدخلا ، فيتخلف معهما .

تخرج سيمون من داخل الدار إلى حيث يجلس الملك ، وهى تحمل صينية عليها طعام ، تضعها على منضدة بجوار الفراش ، لكن خواطر الملك لا تترك له أن يتنبه إليها .

فى الخارج يعود جاستون ومارسيل وريشار ، ليجلسوا حول جوزيف المحتضر ، بينما يقترب الكاردينال من سارجين وفيليب)

سارجين : (لفيليب ، متنهدًا) **جئنا لإنشاء إمارات .. نحن المحرومين من الميراث .. فوجدنا قبورًا لا إمارات ...**

فيليب : (فى سخط) **لقد غرَّروا بنا عندما زعموا أننا سنسود الشرق فى أيام ، فإذا بنا نموت فى طين مصر وقنواتها !! ..**

سارجين : (فى سخط أيضًا) **إن هؤلاء المصريين ، الذين تراهم فتحسبهم أكثر أهل الأرض مسالمة وطيبة ، لا ينهزمون قط .. قد يخسرون معركة ، لكنهم لا يخسرون الحرب أبدًا ...**

الكاردينال : **لا تفقدا الأمل على هذا النحو .. لقد بارك البابا هذه الحملة !**

سارجين : (ساخرًا فى تحدٍ) **باركها لأنه يطمع فى ضم كنيسة الشرق إلى كنيسة روما ! ..**

فيليب : **لكنه لم يخسر شيئًا عندما حطم المصريون أحلامه ! .. أما أنا .. لقد خسرت كل شىء ...**

سارجين : (فى تصميم) **يجب أن نضع حدًا لكل هذه المذابح .. يجب الاتفاق مع المصريين بأى ثمن ..**
(تقترب أصوات جياد ثم تتوقف . يدخل من اليمين جوانفيل ، يصحبه الطواشى جمال الدين محسن الصالحى ، وبيبرس البندقدارى ، وخلفهم ثلاثة من الفرسان المصريين)

جوانفيل : (مناديًا) **أين الملك أيها الأب الكاردينال ؟**

الكاردينال : **داخل هذه الدار يا سير دى جوانفيل ..** (يسأل ، وجوانفيل يتقدم مع جمال الدين وبيبرس ، وقد توقف البقية) **مَن هؤلاء المصريون الذين معك ؟**

جوانفيل : (مشيرًا إلى جمال الدين وبيبرس) **هذان نائب السلطان ومقدَّم مماليكه ، رفضا التفاوض إلا مع الملك ، فجئت بهما إليه ..** (يلتفت إلى جمال الدين وبيبرس ويقول) **الملك بالداخل ..**
(يدخل جوانفيل الدار ، فيتبعه جمال وبيبرس وخلفهما الكاردينال ، ثم سارجين وفيليب)

جمال : **أين ملككم ؟**

الملك : (متقدمًا) **أنا هو يا سادة ...**

جمال : (فى حزم) **كل الشروط التى حملها رسولك ... مرفوضة !** (متسائلاً فى استنكار) **رجالكم يتساقطون قتلى وأسرى كأوراق الشجر ، ثم ترسل**

من يطلب أن نسلمكم بيت المقدس ؟! ..

الملك : مقابل تسليمنا دمياط إليكم ! .. إنها لا تزال فى أيدينا .. الإمدادات تاتيها تباعًا ، من قبرص والشام وأوربا ..

جمال : طوال أربعة قرون .. أشرفنا فيها على بيت المقدس ، لم نمنع مسيحيًا من الحج إليها .. أما أنتم .. ما إن أنشأتم إماراتكم على أرضنا المغتصبة فى الشام ، حتى كانت وسيلة أمرائكم فى الحصول على الأموال ، أن يسلبوا قوافل حجاجكم المسيحيين أنفسهم ! .. (فى حزم !) لن نمنحكم أية سلطة هناك ! ..

الملك : (فى ضيق) إذن أنتم لا تريدون حسم هذه الحرب ! ..

سارجين : (للملك ، فى صوت فشل فى أن يجعله همسًا ، لما فيه من ضيق ونفاد صبر) لنتروى فيما يقولون يا مولاى .. !

الملك : (لسارجين ، فى صوت لم يهتم بأن يسمعه المفاوضان) إنهما يريدان استسلامًا لا سلامًا ! ..

جمال : (كرد على الملك) إنكم لم تسمعوا شروطنا بعد ! .. لن نوقف الحرب ، حتى تلتزموا بأن تسلموا إلينا نصف إماراتكم على ساحل الشام .. (مشيرًا إلى الملك) ونأخذك رهينة يا ملك الفرنسيس ، حتى يتم تسلمنا لها ..

جوانفيل : (متقدمًا فى اندفاع إلى الأمام) لن نترك جلالته لكم أبدًا .. تُقْطَع رقابنا جميعًا ، ولا نعطى ملكنا رهينة عنا !

الملك : (لجمال) وليس لى سلطان على إمارات الشام .. إنها مِلْك الفرسان ..

بيبرس : ليست لكم أملاك فى الشرق .. كلكم غاصبون ! ..

جمال : (للملك) كل أهل بلدك يعتقدون فيك يا ملك .. لو طلبت من فرسان الشام أن يسلمونا عكا وصور وصيدا ، مقابل حقن دمائك أنت وجيشك ، فلن يترددوا فى تلبية مطلبك !

الكاردينال : أكد لكم جلالته أنه لا يملك فى هذه المسألة شيئًا .. !

جمال : لقد عرضنا شروطنا ، ويجب أن يكون ملككم ضمان تنفيذها ... أنتم تعرفون الآن فى وضوح ، من يحق له إملاء الشروط ، ومن يتعين عليه قبولها ! ..

سارجين : (للملك ، فى نفاد صبر) يجب أن نبت الآن فى الأمر يا مولاى .. من الخطر الانتظار أيامًا أخرى ...

الملك : (لسارجين ، فى حزم يشوبه إعياء) لابد لنا من بعض امتيازات فى بيت المقدس ! .. (لجمال الدين) أرجعوا إلى سلطانكم .. اسألـوه رأيه ..

جمال : وأين الأسيرة المصرية ، التى كانت تعيش مع الملكة ؟

جوانفيل : ما شأنها بالمفاوضات ؟

جمال : طلب منا أهلها السؤال عنها .. !

الملك : إنها فى دمياط ... ستعود إليكم دمياط بمن فيها ، إذا وافقتم على شروطنا ..

جمال : (فى نفاد صبر) إنك لا تقدر سوء موقفكم يا ملك ... أنتم الخاسرون فى كل يوم تستمر فيه هذه الحرب ... غدًا ، لن يكون لك جيش !

(يستدير جمال الدين ويخرج يتبعه بيبرس ، يتجهان إلى الفرسان المنتظرين بالخارج)

جمال : **هيا يا رجال**

(يختفى المصريون من ناحية اليمين ، وتسمع أصوات خيلهم تبتعد)

سارجين : (ساخطًا حانقًا) **هل نحن فى موقف نستطيع فيه إملاء أية شروط ؟!**

فيليب : (محتدًا) **لم يعد لنا ما نساوم عليه ، سوى أرواحنا ! ..**

الملك : **لابد أن نعود وقد حافظنا على شرفنا ، وحققنا شيئًا من أهداف حملتنا ! .. لابد من بعض الامتيازات فى أورشليم !**

سارجين : **سنفقد كل شىء بهذا التأخير فى إبرام الصلح ! .**

الكاردينال : **لن يتخلى الرب عنا إلى النهاية .. لقد جئنا فى سبيله . !**

سارجين : (وقد أخذ يثور) **بل أردتم خداع الرب فتخلى عنا ... لم يأت واحد من هذه الآلاف الكثيرة .. إلا ليحصل على إمارة أو تجارة .. أو غفران لخطاياه .. حتى أنا ! .. لقد ألقى الرب بنا إلى شاطئ هذا النيل الهادر ، لنكون طعامًا لأسماكه .. أو لطيور السماء ! ..**

الملك : (متنهدًا فى كآبة) **لا تنسبوا لله سوء التدبير ! ..**

سارجين : (فى ثورة) **ألم يأمرك الله أثناء مرضك يا مولاى .. بغزو الشرق ؟!**

الملك : (فى صوت مثقل واضح النبرات) **لم أقل أبدًا .. إننى تلقيت من الله أى أمر ! ..**

(ترتفع أصوات استنكار ودهشة من الجميع ، عدا الكاردينال الذى يقف ساكتـًا)

جوانفيل : (منزعجًا وقد فوجئ) **كيف ؟!!**

سارجين : (فى نفس الوقت ، فى شك قاتل) هل تقصد ما قلت يا مولاى !؟

فيليب : (مع جوانفيل وسارجين ، مستنكرًا) كلنا واثقون أن الرب أمرَ جلالتك ! ..

الكاردينال : (محذرًا الملك) لا تفصح لهم عن شىء يا مولاى ! ..

جوانفيل : (للملك) أكَّدَتْ لى الراهبة التى كانت بجوار سرير مرضك يا مولاى ، أنها سمعتك تقول : سأذهب إلى الشرق يا رب .. سأستعيد لك بيت المقدس ... !

الملك : ... إنه نذر نذرتـه ... ويبدو أن الرب لم يقبله ! ...

سارجين : (فى ثورة) لا يمكن أن تكونوا قد خدعتمونا جميعًا .. عشرات الألوف من الرجال الذين جاءوا معنا ، يعتقدون أن الرب أمر جلالتك بالمجىء ... !

الكاردينال : (وقد حنى الملك رأسه فى أسى فلا يجيب) كان يجب أن نتركهم يعتقدون هذا .. العامَة فى حاجة إلى ما يؤمنون به ، ليُقْبِلُوا على الموت ! ..

الملك : (مؤنبًا نفسه) الرب برىء من دماء كل الذين ماتوا من الرجال ..

سارجين : (فى ثورة جامحة) الكاردينال والملك ! .. لعبت بنا الكنيسة والعرش ! ...
(تبدو سَيمون وقد جذبها صراخ سارجين)

الكاردينال : (ناهرًا سارجين) يا سير دى سارجين ... أملك زمام ألفاظك ..

سارجين : (فى نفس الثورة ، للكاردينال) إنك أنت المسئول الأول عن كل هذا يا

كاردينال ... سمَيت ملكنا القديس ، فاقتنع أنه مبعوث السماء للقيام بهذه الحرب ... واستعان جلالته بالبابا .. فأوفدكم تبيعون صكوك الغفران لتمويل الحملة ، وتَعدون كل من يأتى معنا بالغفران التام لخطاياه ... ثم تركتمونا نموتَ تحت أقدام هذا الشعب ، الذى كنتم تجهلون كل شىء عن قوته وإصراره ... (للملك فى حقد) لقد اعتاد الملوك أن يخدعوا شعوبهم ، لكنك آمنت بخدعتك هذه المرة يا مولاى ! ...

جوانفيل : (صائحًا فيه) أُصمت أيها الفارس ..

فيليب : (ثائرًا أيضًا) إنه على حق فيما قال .. لقد أضعتم كل شىء ! ...

سارجين : (مندفعًا فى ثورة) لن أبقى مع طغمة من الغشاشين .. أيها المخادعون ! ..
(يخرج فى ثورة عنيفة)

فيليب : (فى مثل حنق سارجين) وأنا أغسل يدىّ منكم ... (يخرج خلف سارجين)

الكاردينال : (للملك ، فى حنق شديد) يجب عزل هذين الفارسين .. يجب إعدامهما ! ...

الملك : (وهو يمسك رأسه بين كفيه فى يأس وقنوط) دعنى يا كاردينال .. اتركانى ... دعونى وشأنى ...
(يصمت الكاردينال وهو يتبادل النظر مع جوانفيل ، وتظهر نظرة حيرة وفزع على وجه سيمون ، ثم تختفى فى الداخل ، بينما يزداد حنق فيليب وسارجين فى الخارج)

سارجين : (لفيليب ، فى سخط مشتعل) أليس هذا هو الملك الذى طالما علّمته أمه المتعصبة ، أن يعمل ما يتصور أنه فى صالح العقيدة ، ولو كان فى هذا

العمل ضياع مصالحه ومصالح شعبه ؟! ...

فيليب : لقد أصبح مجنونًا بشىء اسمه استعادة امتيازات فى بيت المقدس ! .. لقد تعبنا من هذا الملك المتعصب ، ومن هؤلاء الذين يقدسون كل ما يقول ، كأنه نبى معصوم !

سارجين : سنفنى جميعًا إذا لم نسلِّم إلى المصريين بمطالبهم ، فورًا وبلا إبطاء !

فيليب : سيقتلون جميع الباقين من مذبحة فارسكور ...

سارجين : لقد أتى من جاءوا معنا من أوربا ، طامعين فى الجنة ! .. ستذهب سيوف المماليك بهم إليها سريعًا .. ومن أتى يبغى أسلابًا ، فجزاؤه الحق أن يُقْتَل .. كان يجب أن يأتى من أجل المسيح فقط .. (ينادى فى قوة وقد اتخذ قرارًا حاسمًا) مارسيل .. يا مارسيل ..

مارسيل : (وقد جاء مسرعًا) نعم يا سيدى ..

سارجين : هذه أوامر جلالته .. ليلقى جنودنا وفرساننا سلاحهم فورًا وبغير إبطاء .. إن حياة جلالته ستكون فى خطر ، إذا لم ينفذوا هذا فورًا ...

مارسيل : هل أعلن هذا الأمر يا سيدى ؟

سارجين : أنا مستشاره ، أنقل إليكم مشيئته المقدسة ...

فيليب : أسرع .. إن كل دقيقة تقرب الخطر من جلالته ومنكم ...

مارسيل : (صائحًا) يا كل من هنا .. ملكنا الطيب يطلب منكم إلقاء السلاح .. أوقفوا القتال حتى لا تعرضوا حياة مولانا للخطر ... ألقوا

السلاح ...

(ينطلق مارسيل إلى خارج المسرح وهو يردد نفس النداء ، وقد تقدم جاستون وريشار ، وألقى كل منهما فى إعياء بما معه من ترس وحربة ، فيتقدم بقية من كانوا قد تخلفوا بعد رحيل السفينة ، ويفعلون المثل . يتردد نداء مارسيل عاليًا من خارج المسرح)

ألقوا السلاح .. لا تعرضوا حياة مولانا للخطر ...

صوت : (يتجاوب مناديًا) **ألقوا السلاح ..**

صوت آخر : (من ناحية أخرى) **لا تعرضوا حياة مولانا للخطر .. ألقوا السلاح ..**

(ما إن يسمع الملك وجوانفيل والكاردينال النداءات وهم داخل البيت ، حتى يقفوا منصتين ، ثم يندفعون هم الثلاثة إلى الخارج ، تتبعهم سيمون ، وقد أخذت جماعات من الجنود تفِدُ إلى المسرح من اليمين ، فى بطء وإعياء ، فيلقى أفرادها سلاحهم بغير اكتراث ، ثم يبتعدون فى سكون وبطء)

الملك : (فى ثورة) **ما هذا ؟!**

الكاردينال : (فى نفس الوقت مع الملك ، حانقًا) **ماذا يقول هذا المجنون ؟!!**

جوانفيل : (صائحًا) **ماذا يفعل هؤلاء الجنود ؟!!**

سارجين : **لقد تعبوا من معركة خاسرة ! ..**

نداء : (من الخارج) **ألقوا السلاح ...**

الملك : (لسارجين) **هذا الجندى المجنون .. دعه يكف عما يقول !**

(يجرى جوانفيل ناحية اليمين صائحًا فى الجنود)

جوانفيل : **نادوا هذا المجنون ... دعوه يكف ..** (يخرج من المسرح وهو لا يعرف

إلى أين يتجه . يستمر مجيء الجنود وطرحهم أسلحتهم)

الملك : (صائحًا فى صوت مختنق من الغضب) **أنا آمر المنادين بأن يكفوا ! ...**

أصوات : (تتجاوب من خارج المسرح نداءات استسلام متعددة)

سارجين : **أنت ترى يا مولاى ! .. لقد لبّى هذا النداء حاجة شديدة لدى كل أفراد جيشنا البائس .. !**

فيليب : **ما داموا لن يظفروا ببيت المقدس ، فليظفروا بحياتهم ! ..**

الكاردينال : (فى ثورة) **حتى حياتهم سيفقدونها ..**

سارجين : (فى سخرية خفيَّة) **هذه مشيئة الرب ! ..**

جوانفيل : (يدخل يائسًا) **الجميع يلقون أسلحتهم .. لا جدوى من محاولة منعهم ..**

فيليب : **لم يتغير الأمر كثيرًا ... لم يعد ثمة فارق كبير بين وجود الأسلحة على الأرض .. أو بقائها فى أيديهم ..**

الملك : **لقد كنا نتفاوض ! ..**

سارجين : **سيكون لدينا منذ الآن ، وقت أطول للتفاوض ... دمياط لا تزال فى أيدينا ...**
(تسمع أصوات خيل تقترب ثم تتوقف)

سارجين : (وهو ينظر إلى اليمين) **.. بل ... لقد عاد المتفاوضون ..**
(يدخل الطواشى جمال الدين وبيبرس ، مع عدد كبير من الجنود

والفرسان المصريين)

جمال : (داخلاً ، يأمر من معه) **أحدقوا بكل من هنا .. لا تدعوا أحدًا يفلت ! ..**

الملك : **صبرًا يا سادة .. هل هذا رد سلطانكم ؟!! ..**

جمال : **نعم يا ملك الفرنسيس !**
(يبسط قيدًا حديديًا بين يديه)
وقد أمرنا أن نضع هذا فى يديك ..

سيمون : (ترتمى صارخه بجوار الملك) **مولاى ؟!! ..**
(يندفع جوانفيل والكاردينال فيحُولان بين الملك وجمال الدين)

جوانفيل : (صائحًا بجمال الدين) **ما هذا ؟!**

جمال : (فى عنف وجفاء) **قيد حديدى .. لا أكثر ولا أقل ..**
(يَسُل جوانفيل سيفه ، وقد وقف أمام الملك فى مواجهة المصريين)

جوانفيل : **لا .. لن يقترب أحدكم من جلالته ..**
(يسل المصريون سيوفهم ، ويتقدمون)

الملك : (وهو يزيح جوانفيل برفق) **كيف تاسروننا ولم تنته المفاوضات بعد !؟**

جمال : (فى حزم) **لقد أنهى جيشك المفاوضات !**

جوانفيل : **دمياط لا تزال فى أيدينا ..**

بيبرس : **سننتزعها .. إن لم يكن اليوم ، فغدًا ! ..**

الملك : (فى اكتئاب ، بعد أن يصغى لحظة إلى نداء يترامى من بعيد يكرر طلب إلقاء السلاح) وإلى أين تذهبون بنا ؟

جمال : إلى المنصورة !

جوانفيل : سيدى الملك .. هل تستسلم ؟!

الملك : (منهكًا) قد ننقذ بالمفاوضات ، أرواحًا ، لن ينقذها موتنا ..

جوانفيل : ما جدوى التضحية فى سبيل هذا الجيش ، الذى تداعى عند أول نداء ؟

سارجين : تداعى لأن رجاله أصبحوا فى واد وقادته فى واد آخر ! لو عرفنا ما كان يهمس به كل جندى إلى نفسه ، لانسحبنا من مصر كلها ، بعد الأسابيع الأولى لاحتلالنا دمياط ! ..

جوانفيل : (ساخطًا) الموت أفضل من هذا الاستسلام المهين !

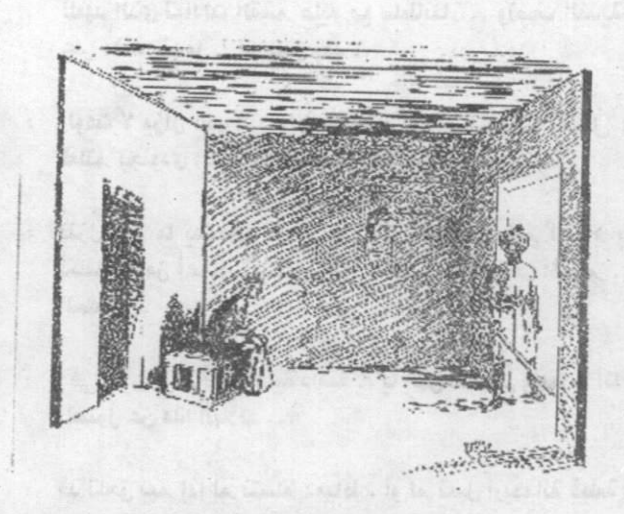
بيبرس : لا جدوى من المقاومة ! .. بقية جنودكم فى فارسكور ، وعلى طول الطريق إلى دمياط ، يلقون السلاح ...

الملك : (لجوانفيل) أنت ترى يا سير دى جوانفيل ، أنه لم يبق معنا أحد !
(يمد يديه وهو يقول لجمال فى اكتئاب)
يا نائب السلطان .. افعل ما تريد ..
(يعطى جمال القيد إلى أحد الرجال ، فيضعه فى يدى الملك ، بينما يمسك كل مصريَّين بأحد الفرنج ، وجمال الدين يهتف بهم آمرًا)

جمال : إلى المنصورة يا رجال .. وغدًا إلى دمياط ! ..

ستار

المنظر الثانى



(دار ابن لقمان فى المنصورة. الغرفة التى أسِر فيها الملك لويس . باب على اليمين يؤدى إلى الطريق ، وباب على اليسار يفضى إلى غرفة بها بقية كبار الأسرى . وفى الصدر نافذة مرتفعة عليها قضبان متقاطعة . الغرفة عارية من كل أثاث . الملك لويس جالس على صندوق خشبى ، وسلسلة حديدية تقيد إحدى يديه إلى الأخرى ، والطواشى صُبيح المعظمى الحبشى ، واقف داخل باب الطريق ، ورمحه فى يده . الملك صامت مطرق مستغرق فى حزنه وخواطره ، وصُبيح يحاول أن يُخرجه عن صمته ، وفى صوته رنة انتصار وتشفٍ)

صبيح : (للملك) يبدو أن رجالك الذين تركتهم خلفك فى دمياط ، لا يحرصون على حياتك يا ملك !

الملك : (فى كآبة) لم ينته بعد اليوم السابع ، من الأجَل المحدد لتنفيذ

شروطكم .

صبيح : أتانا رسول فى الصباحِ ، قال إنهم يرفضون تسليمنا دمياط ، تنفيذًا للعهد الذى تبادَلْتَ القسَم عليه مع سلطاننا ... ونصف الفدية المتفق على دفعه مقدمًا .. لم يصل بعد ..

الملك : الوقت لا يزال عصرًا .. والأجل ينتهى مساء اليوم .. (يسأل) وماذا فعلتم بجنودى الذين لن تشملهم الفدية ؟

صبيح : نُنْزِلُ بهم ما يستحقه كل معتد .. من لا يقبل منهم القيام بكل ما نكلفه به من أعمال ، يتدحرج رأسه على شاطئ بحر أشموم .. بأمر السلطان .

الملك : (فى حزن وندم) أية نهاية دامية .. يا إلهى اغفر لى ولهم .. أنا وحدى المسئول عن هذا الهلاك ...

صبيح : قد تلحق بهم إذا لم نتسلم دمياط ، أو لم تصل أربعمائة قطعة ذهبية بالتمام والكمال ، قبل أن ينتهى هذا النهار ...

الملك : (قلقًا) لابد أن تبعث بها الملكة ... تعلمون يقينًا أنها تجمعها ...

صبيح : ولعل رسلكم الذين ذهبوا إلى دمياط ، لا ينسون وصيتنا ، ويجيئون معهم بقطر الندى ... خطيبها بدر الدين بطل المنصورة ، ينتظرها قلِقًا ، فقد انقطعت عنه أخبارها منذ وقعتم فى الأسر ...

الملك : طالما حذَّرْتُ الملكة من الإبقاء على تلك الفتاة ... كانت هذه العنيدة على استعداد للتضحية بكل شىء ، حتى حياتها ، فى سبيل الخلاص منا ...

صبيح : هى فى هذا رمز لبلدنا كله .. ما قيمة حياتنا بغير حرية ؟! خلاص

مصر ، هو خلاصنا ! .. لكن إذا سمع أفراد الشعب أنكم أصبتم أسيرًا منا بمكروه ، بعد أن حلفتم على الاتفاق الذى وقعناه معكم ، وتعهدتم فيه بالامتناع عن تكرار عدوانكم .. فسيثورون عليكم ثورة عارمة ...

الملك : لقد ترك سلطانكم لعامة شعبه ، أن يتقاسموا معه كل انتصار أحرزه بكم .. أنتم فرسانه !

صبيح : (فى اشمئزاز) حتى وأنت فى الأسر ، تريد أن تؤلب الفرسان على أبناء الشعب الأبطال !؟ ... ما أصوب من ينصحون بقتلكم جميعًا .. أنت وأخويك الباقيين، وقادتك الذين فى الغرفة الداخلية.. (يشير إليها)
(يدخل الطواشى جمال الدين وبيبرس وبدر الدين)

جمال : (لصبيح) لن تكف عن الثرثرة معه يا صبيح ...

صبيح : لولا أوامر السلطان بأن نحسن معاملته ، لما اكتفيت بالثرثرة ...

جمال : ورغم تلك الأوامر ، لا يريد أن يغير ما بنفسه ضدنا .. (للملك) لماذا رفضت يا ملك ، أن تذهب بالأمس إلى الوليمة التى أقامها السلطان لك ؟!

الملك : (مستنكرًا فى كبرياء وشىء من الحدة) هل يدعونى السلطان إلى مائدته ، إلا ليهزأ بى جنوده ؟!

بيبرس : (فى ثورة) انظروا هذا المغرور ! (للمصريين) لو قتلنا هذا الملك المتعجرف مع رجاله ، لَجَنَّبْنا بلادنا محاولات أخرى للعدوان ..

بدر : قد ينتقم منا رجاله فى دمياط ، بقتل كل من وقع فى أيديهم من مصريين ...

صبيح : (لبدر) آه .. تخشى على حياة عروسك ! .. قد تأتى الليلة مع الفدية ، فلا يبقى من تخاف عليه هناك ! ..

بيبرس : (يشير إلى الملك فى قوة) من الأفضل التخلص منه ، فهو رأس الحية ! .. لن يعجز عن جمع آلاف أخرى من المخدوعين ، ليحاول الثأر لهذه الهزيمة الساحقة التى أنزلناها به ...

صبيح : هذه دار ابن لقمان باقية ، نأسره فيها إذا عاد ثانية ... (ضاحكًا) وأنا صبيح المعظمى ، باق لأحرسه .. (يلوِّح بسيفه) وأقطف رأسه بسيفى ! ..
(يتعالى نداء من خارج الدار)

النداء : يا نائب السلطان ...الفدية ..
(يدخل رجل)

الرجل : وصلت الفدية يا سيد جمال الدين ...

بدر : (يصيح متسائلاً ، وهو يندفع خارجًا) وقطر الندى؟ (يخرج)

صبيح : (مبتسمًا ، لجمال وبيبرس)
خرج ليرى هل جاءت خطيبته مع الفدية !.. كل بطل ينتظر اللحظة التى تشاركه فيها عروسه نشوة النصر ...

الملك : ها نحن ننفذ أول شروطنا ...

بيبرس : (فى احتداد) لقد أكَّدْتَ فى كبرياء أنك توافق على دفع هذه الفدية ،

مقابل حياة نبلائك وكبار فرسانك ، لكنك أبيت دفع فدية من النقود عن نفسك ... أصررت أن نعتبر تسليم دمياط لنا ، هو فديتك .. ودمياط أهم لنا من كل فدية !

(تدخل الملكة ومعها الفارس جون)

الملك : (فى إعياء حالما يرى الملكة) جئت بنفسك ؟

الملكة : لم آمن أحدًا على الفدية ... (تركع بجوار زوجها ووجهه قد عاد فواجه الأرض) هل عانيت كثيرًا يا زوجى الملك ؟

الملك : لا أدرى : هل أرادوا إكرامى .. أم السخرية منى ؟! شىء واحد يمزق قلبى .. كل المشاة والصناع وصغار الفرسان .. كل من بقى من الآلاف العديدة التى جاءت معنا .. يُقتلون الآن على شواطئ الأنهار ...

الملكة : (وهى تشيح بوجهها جزعة) لقد جمعتُ نصف الفدية المطلوبة بشق النفس .. سننقذ بها بعض من جاءوا معنا ...

(يدخل بدر الدين قلقًا ثائرًا)

بدر : (للملكة ، وقد فقد سيطرته على نفسه من القلق) أتت الفدية ، ولا أرى قطر الندى .. أين هى ؟

الملكة : ... وا أسفاه ..

بدر : (منزعجًا) ماذا حل بها ؟

جون : ألم تصلكم أخبارها ؟!

بدر : (يمزقه القلق) هل أصابها مكروه ؟!

الملكة : (فى حزن شديد) تعجَّلَت العودة إليكم ...

بدر : أفصحى .. أين هى ؟! .. هل هربت ؟

جون : أرادت أن تهرب .. لتنقل إليكم أسرار تحصين دمياط بعد أن سَمِعَتْها خلال ثرثرة بحارتنا .. (لبدر) هل أنت من أهلها ؟

صبيح : كان ينتظر انتهاء الحرب ، لتزف إليه ...

الملكة : أيها المصرى .. لقد زُفَّت عروسك إلى الجنة .. !

بدر : (صارخًا فى صوت متفجع) ماتت ؟! .. قطر الندى ماتت ؟! غير صحيح .. لن أصدق ما تقولون !

جمال : (يسأل فى حزن) متى حدث هذا ؟

الملكة : أثناء عودتنا من منية عبد الله إلى دمياط ... كانت مثالاً للنبل والكمال .. لم تنس بلدها ولا خطيبها أبدًا ...

بدر : (متفجعًا) ماذا فعلتم بها ؟

جون : اقتربنا مرة من الشاطئ، فغافلتنا وقفزت إلى الماء لتعود إليكم .. لم ينفع ما فرضناه عليها من حراسة ، بَعْدَ تنبهنا إلى ما عرفت من أسرارنا ..

بدر : (صارخًا فى وحشية) وتركتموها تغرق ؟!

جون : وعدت جلالتها من يعيدها من البحارة بعَشْرِ قطعٍ ذهبية .. لكن ... (يسكت)

بدر : لكن ماذا ؟ .. تكلم ..

الملكة : (فى أسى) سهم رماها به بحار متعجل ...

بدر : (صارخًا) قتلتموها .. قتلتموها يا قساة .. حطمتم أجمل ما فى حياتى ... (متفجعًا) ماتت قطر الندى .. ذهبت قطر الندى .. أصابع عدوانكم الغاشمة لم تحسن إلا تحطيم كل جميل !!

صبيح : (فى أسى) تجلد يا بدر الدين ... لئن ذهبت قطر الندى فداء بلدنا ، فقد بقيت مصر - التى كافحنا جميعًا من أجلها - أكثر قوة وحياة ... تشجع .. لقد عرفناك بطلاً فى كل محنة .

الملكة : (متنهدة) وكانت خطيبته بطلة أيضًا ... أحطتها بكل رعاية ، ومع ذلك لم يكن يشغلها إلا تمجيد بطولتكم ، وترقب الفرص للعودة إليكم ...

جمال : (لبدر) ليكن فى هذا عزاء لك يا بدر الدين .. لم تنس خطيبتك وطنها أبدًا .. لقد ذهبت شهيدة ..

بدر : شهيدة المعركة التى ربحناها ! ..

بيبرس : لم يعد لك ما تحرص عليه فى دمياط يا بدرِ الدين ... لنقتلهم فنتخلص منهم .. لقد أقبل المساء ودمياط لم تُسلَّم إلينا بعد ...

بدر : (فى حزن وأسى - وقوة) لقد حطموا قلبى .. لكن التاريخ ملىء بأخبار من ينتصرون ، وتندر فيه أخبار من يكونون كرماء عند النصر ...

بيبرس : تقول هذا وخبر موت خطيبتك لم تغب أصداؤه بعد !؟

بدر : هناك أسرى آخرون لنا فى دمياط ...

بيبرس : نضحى بهم ونقتل الملك ... لا شفقة فى السياسية أو الحرب !

بدر : صلاح الدين أطلق سراح ريتشارد ملك الإنجليز ، ونحن نمجد فى ذلك القائد خلقه وإنسانيته ، مثلما نمجد بطولته وسياسته !

بيبرس : (فى تحد) لم يصلح كرم صلاح الدين شيئًا من أمرهم ... لقد اشتركت فرقة إنجليزية كبيرة فى هذه الحملة ، وقتلتم قائدها فى المنصورة ... هؤلاء الفرنج حنثوا بكل اتفاق عقدوه معنا ...

أصوات : (تتعالى أصوات هتاف فى الخارج)

جمال : إذا لم نتسلم دمياط ، قتلناهم جميعًا ! .. (وهو يصغى إلى الهتافات) أتسمعون .. جاءت للشعب أنباء جديدة !
(يندفع رسول إلى الداخل)

جمال : (للرسول) ماذا حل بالناس ؟

الرسول : وصل الحمام الزاجل بهذه الرسائل إلى السلطان من دمياط ..
(يمد يده بالرسائل)

بيبرس : (وجمال يفض الرسائل) هل تسلمنا دمياط ؟!

الرسول : أحدثت عساكرنا ثغرة فى سورها ، فرضخ الفرنخ لشروطنا ... دخلها جنودنا ظافرين ، ورفعوا بيارق السلطان على أسوارها وفوق أبراجها .

هتافات : (من الخارج) دمياط .. إلى دمياط ..

بدر : لقد اسْتَعَدْنا كل شبر من أرض مصر .. !

الملك : (واقفًا لأول مرة) استدعوا إذن إخوتى ورجالى ..

صبيح : (ينادى خلال باب الحجرة الداخلية) **يا رجال ملك الفرنسيس .. تعالوا .. حان الوقت لتركبوا البغال إلى دمياط ! ..**

(يخرج من الحجرة الداخلية أخو الملك وجوانفيل وسارجين وفيليب والكاردينال وجمع آخر من النبلاء)

بيبرس : (فى حدة) **لقد استعدنا دمياط ، وحصلنا على الفدية ... فى إمكاننا الآن أن نقتلهم جميعًا !**

بدر : **إن الشعب لن يرضى عمن يحنث بـقَسَمِه !**

صبيح : **ولن نحرم الشعب من مشاهدة ملك الفرنسيس راكبًا بغلة ، على رأس موكب من الحمير ، يتجه إلى دمياط مع فرسانه ...**

بيبرس : **إذن لابد من أن يبقى أحد إخوة الملك رهينة ، إلى أن نتسلم نصف الفدية الباقى !**

بواتييه : (أخو الملك . يتقدم) **ما دمتم تطلقون سراح أخى الملك ، سأبقى أنا ..**

الملك : (للمصريين) **بهذا نكون قد نفذنا شروطكم كلها يا سادة ... هل بقى شىء آخر ؟**

جمال : **بقى أن نذكركم بالمحافظة على عهدكم .. فمصر لن تغفر !**

بدر : **ولن تنسى ... لقد سحقتم قلبى ، وقلوب كثير من المصريين ..** (يصمت لحظة ، ثم يكمل) **لكن التاريخ لن يذكر .. إلا أن مصر ، سحقت قلب فرنسا وانجلترا ! ...**

بيبرس : **وسنسحقه فى كل مرة تعتديان فيها علينا .. وستظل مصر دائمًا ، مقبرة للغزاة !**

الملك : (يائسًا ، لرجاله) لنصمت .. فللمنتصر الكلمة الأخيرة دائمًا ...

بدر : عد إذن إلى شعبك ، وقل له إنك أقْبَلتَ على رأس مائة وعشرين ألف مقاتل كلهم كبرياء ، فلم تعد إلا بين بضع مئات من الفرسان ، تركبون البغال بدل الخيول ، وتحملون القيود بدل الدروع والرماح .. وإن شعبًا أعزل مسالمًا ، لم يحمل معظمه سلاحًا قبل أن تُدَنِّس أقدامكم أرضه ، هو الذى سحق خيرة رجالك ، ومنحك الحياة أنت وهؤلاء التابعين القلائل .. عودوا من حيث جئتم ، وليكن رحيلكم بلا عودة .. فالشعب العربى لن يُهْزَم أبدًا ! ..

(ينظر الملك فى شرود إلى بدر الدين ، وكأن نظرته امتدت لتسترجع هزائم السنة الماضية . يخفض بصره ، وفى بطء يتجه نحو باب الطريق صامتًا ، يتبعه بقية الفرنج واحدًا وراء الآخر ، عدا بواتييه ، مطأطئى الرءوس كأنهم فى جنازة ، يثقلهم الحزن والكآبة ومرارة الإحساس بالخيبة والهزيمة ، بينما وقف بدر الدين ومن معه رافعى الرءوس ، كأنهم يستعرضون طابورًا من الأسرى . يرتفع لحن انتصار هادئًا وبطيئًا ، لا يلبث أن يشتد ..)

ينزل ستار الختام

هذا الكتاب

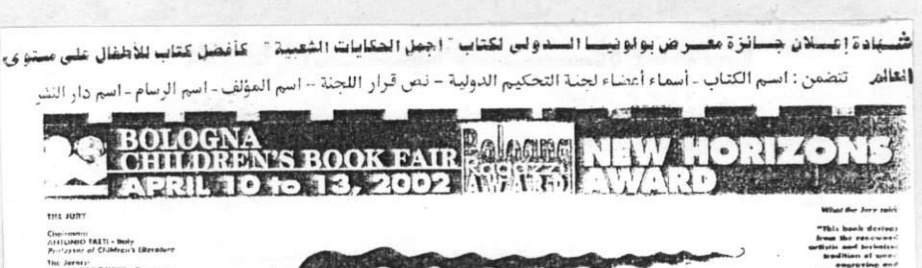
هذه المسرحية ، ليست حوادث التاريخ وحسب ، بل هى قصة شعب قاوم جيشًا ضخمًا مقاومة بطولية، وانتصر عليه انتصارًا ساحقًا ، هذا الشعب لم يفرد التاريخ لأفراده إلا سطورًا قليلة ... وقد وفق المؤلف فى ابتكار شخصية بدر الدين ، التى جعلها رمزًا للكفاح الشعبى ، كما أبرز سقوط دمياط ، ومعركة المنصورة وأسر الملك لويس فى مواقف نابضة بالحركة والحياة .

وحوار المسرحية ممتاز فى تعبيره عن الانفعالات وطبيعة الشخصيات ، وفيه كل مقومات الحوار المسرحى الناجح ...

...... إنها مسرحية ممتازة .

من تعليق للدكتور عبد القادر القط
عضو لجنة جوائز المسابقة

كتاب لابد أن يقرأ



شهادة إعلان جائزة معرض بولونيا الدولى لكتاب " اجمل الحكايات الشعبية " كأفضل كتاب للأطفال على مستوى العالم تتضمن : اسم الكتاب - أسماء أعضاء لجنة التحكيم الدولية - نص قرار اللجنة -- اسم المؤلف - اسم الرسام - اسم دار النشر

THE JURY

Chairman:
ANTONIO FAETI - Italy
Professor of Children's Literature

The Jurors:
RAINER GROOTHUIS - Germany
Graphic Designer

BEATRICE ROBILLARD - France
Librarian specialized in children's literature

NESS WOOD - United Kingdom
Graphic Designer

What the Jury said:

"This book derives from the renowned artistic and technical tradition of wood engraving and printing. The decisive black outlines oblige the reader to take a new child-like look at illustrations drawn with bold strokes that accompany the narration of traditional tales and legends. The great variety of costumes, garments, characters and attitudes prompt spontaneous questions about the rich and varied culture they represent. After so many "Orients" invented in the West, here we finally are given a view of the East at least uncontaminated by artificial overlays. For the young western reader this book could provide an entirely new insight into a world that has always been presented through filters and interpretations. The authentic origins of this work are evident in the different stylistic perspectives while the vibrant use of colour is a narrative element that captures the reader's attention from the outset."

STAMPA: GRAFICHE AZ - VERONA

THE WINNER

AGMAL AL-HEKAYAT AL-SHAABEYA

(MOST BEAUTIFUL FOLK TALES)

by Youcoub El-Sharouny - Illustrated by Helmy El-Touni - Dar El-Shorouk - Il Cairo, Egitto

- روايات وقصص يعقوب الشاروني تُرجمت إلى لغات أجنبية :

- حكاية رادوبيس - ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية والمجرية .
- الفرس المسحورة - ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية .
- أحلام حسن - ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية .
- كنز جزيرة عروس البحر - ترجمت إلى الإيطالية .
- قليل من الراحة فوق السلالم - ترجمت إلى الفرنسية والإيطالية .
- التجار الثلاثة وقصص أخرى - ترجمت إلى الماليزية .
- زورونى كل سنة مرة وقصص أخرى - ترجمت إلى الماليزية .
- وردة لكل طفل وقصص أخرى - ترجمت إلى الماليزية .
- كريم والتمر - ترجمت إلى الألمانية .
- المعيز والضبع - ترجمت إلى الألمانية .

- روايات للشاروني تحولت إلى مسلسلات للتليفزيون :

- سر الاختفاء العجيب (مسلسل باسم : اثنان تحت الأرض) .
- مفاجأة الحفل الأخير .
- بدر البدور والحصان المسحور .

- قصص وروايات للشاروني تم تحويلها إلى مسرحيات وعرضت لأسابيع طويلة :

- عصفور وجرادة .
- نخلتين فى العلالى (عن قصة بلح الشاطر حسن) .
- أمير الخيال (عن قصة هدايا فيروز) .
- البير العجيب (عن قصة البئر العجيبة) .

موسوعة أعلام الفكر العربى - جزء (٣) - الناشر : مكتبة مصر (ص ٢٤٠)

يعقوب الشارونى : (١٩٣١ -)

ولد يعقوب الشارونى فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣١ بالقاهرة . درس القانون ، وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٥٢ ، وهو مؤلف لأدب الأطفال ، وأحد كبار رواد أدب الأطفال فى مصر والعالم العربى ، والرئيس السابق للمركز القومى لثقافة الطفل ، دراساته العليا فى الاقتصاد . تدرج فى مناصب القضاء حتى وصل إلى منصب " النائب " بهيئة قضايا الدولة (رئيس محكمة) . فى عام ١٩٦٧ طلب الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة انتدابه من منصبه فى القضاء ليعمل بوزارة الثقافة متخصصا فى ثقافة الطفل ومديرا عاما للثقافة الجماهيرية (الهيئة العامة لقصور الثقافة) . وفى عام ١٩٦٩ سافر إلى فرنسا لدراسة أساليب العمل الثقافى بين الجماهير خاصة فى مجال ثقافة الأطفال . ومن سنة ١٩٧٠ حتى ١٩٧٣ أشرف على مركز ثقافة الطفل ومسرح الطفل بالثقافة الجماهيرية ، ثم عمل مستشارًا لوزير الثقافة لشئون ثقافة الطفل . وعمل معظم الفترة من ١٩٨١ حتى ١٩٩١ رئيسا للمركز القومى لثقافة الطفل بدرجة وكيل وزارة ، وأصدر سلسلة " مجلدات بحوث ودراسات ثقافة الطفل " ، وأنشا " المسابقة القومية للطفل الموهوب " ، كما أصدر العدد التجريبى من أول مجلة للثقافة العلمية باسم " النحلة " ، كما أنشا " الندوة الدائمة لأدب وثقافة الطفل " .

بدأ حياته الأدبية بالكتابة للمسرح ، وحصل على جائزة الدولة الخاصة فى الأدب عام ١٩٦٠ التى تسلمها من الرئيس جمال عبد الناصر ، والجائزة الأولى للتاليف المسرحى عام ١٩٦٢ . وحصل على جائزة أحسن كاتب أطفال عام ١٩٨١ عن قصته " سر الاختفاء العجيب " وكانت د. سهير القلماوى رئيسة لجنة الجائزة ،وعلى جائزة تكريم معاهد جوته الألمانية عن روايته " الرحلة العجيبة لعروس النيل " (١٩٩٥) . وعلى جائزة أفضل كاتب للأطفال عن مجموع مؤلفاته عام ١٩٩٨ من المجلس الأعلى للثقافة . وفى عام ٢٠٠٢ حصل كتابه " أجمل الحكايات الشعبية " على الجائزة الكبرى لمعرض بولونيا الدولى لكتب الأطفال بإيطاليا لأحسن كتاب أطفال على مستوى العالم ، وهو نفس الكتاب الذى فاز عنه بالجائزة الخاصة كمؤلف فى مسابقة المجلس المصرى لكتب الأطفال . كما حصلت ثلاثية رواياته : حكاية رادوبيس - أحلام حسن - الفرس المسحورة ، على جائزة التميز لمسابقة المجلس عام ٢٠٠٥ . كما فازت روايته " سر ملكة الملوك " عن حتشبسوت بجائزة أفضل مؤلف سنة ٢٠٠٧ . وعلى جائزة تكريم وزارة التعليم الايطالية ، فى ختام مشروع " المدارس المفتوحة " عن روايته " كنز جزيرة عروس البحر " بعد ترجمتها إلى الايطالية (٢٠٠٨) ، كما حصلت روايته " معجزة فى الصحراء " على مرتبة الشرف لجائزة الشيخ زايد ٢٠١٤ ، كواحدة من أفضل ثلاثة كتب للأطفال على مستوى العالم العربى .

وفى نفس العام ، حصلت روايته " ليلة النار " على مرتبة الشرف لجائزة اتصالات بالشارقة كواحدة من أفضل خمس روايات للناشئة على مستوى العالم العربى . وفى عام ٢٠١٥ ، حصلت روايته " سفن الأشياء الممنوعة " على جائزة الدولة فى أدب الأطفال لأفضل رواية خيال علمى على مستوى العالم العربى من دولة قطر . وفى فبراير ٢٠١٦ أعلن المجلس العالمى لكتب الأطفال من سويسرا ، فوز الشارونى بمرتبة الشرف باعتباره من أفضل كتاب الأطفال على مستوى العالم وأشاد بروايته " ليلة النار " .

يعمل منذ عام ١٩٨٢ حتى الآن أستاذا زائرا لأدب وقصص الأطفال بكليات التربية بجامعات حلوان والإسكندرية وطنطا وكفر الشيخ وجنوب الوادى . وهو عضو لجان تحكيم عدد من أهم جوائز أدب الأطفال بمصر والعالم العربى . وفى عام ١٩٩٢ شارك فى وضع الخطة القومية الشاملة للطفل العربى بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . زار معظم بلاد العالم للتعرف على ثقافة الطفل ، ويقدم منذ عام ١٩٨٢ وحتى الآن ، فى صحيفة الأهرام ، ركنا خاصا بالأطفال (حكاية أعجبتنى - ألف حكاية وحكاية) .

وتتميز قصص يعقوب الشارونى بالحس الإنسانى المرهف ، وبقدرتها على جذب الصغار والكبار ، لمضمونها المعاصر المتصل بالمواقف الحياتية ، وما فيها من شخصيات نابضة بالحياة حتى ليحس القارئ بانه يعرفها ، بالإضافة إلى حيوية الحوار الذى يجيد الشارونى إبداعه للتعبير عن حقيقة الشخصيات وتجسيد المواقف . ونجد أن معظم قصصه تتفاعل مع أهم القضايا التى تشغل الأطفال والعالم ، مثل قدرة الأطفال على الإبداع ، وقبول الآخر ، واحترام قدرات الطفلة الأنثى ، والشجاعة فى مواجهة العقبات والإحباط ، والواقع النفسى للأطفال العاملين وأطفال الشوارع وذوى الاحتياجات الخاصة ، والخيال العلمى ، واحترام البيئة ، وتشجيع الأطفال على الحوار والتعبير عن أنفسهم ، وهو ما يجعل كل طفل يجد نفسه وأحلامه وهمومه وأفراحه فى قصص يعقوب الشارونى .

بلغ عدد الكتب التى كتبها للأطفال وتم نشرها أكثر من ٤٠٠ كتابا ، تم ترجمة عدد كبير منها إلى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والماليزية والمجرية . ومن أهم السلاسل التى كتبها للأطفال : " موسوعة ألف حكاية وحكاية " - " موسوعة العالم بين يديك " - أجمل الحكايات الشعبية - ٢٠ كتابا ضمن المكتبة الخضراء للأطفال - تنمية عادة القراءة عند الأطفال - مهارات الكتابة للأطفال - القراءة مع طفلك - كيف نقرأ لأطفالنا - كيف نحكى قصة - تنمية عقل وذكاء الطفل - ثقافة طفل القرية وثقافة الطفل العامل - القيم التربوية فى قصص الأطفال - مسرح الأطفال فى مصر - قصص وروايات الأطفال فن وثقافة . وله أكثر من ٦٠ دراسة وبحث عن أدب الأطفال والكتابة لهم - ومن أهم رواياته : كنز جزيرة عروس البحر - سر الاختفاء العجيب - مفاجأة الحفل الأخير - مغامرة البطل منصور - شجرة تنمو فى قارب - صندوق نعمة ربنا - حكاية طارق وعلاء - أحسن شىء أنى حرة - مغامرة زهرة مع الشجرة - عفاريت نصف الليل - أبناء لهم أجنحة - حكاية رادوبيس - معروف فى بلاد الفلوس - تائه فى القناة - منيرة وقطتها شمسة - حسناء والثعبان الملكى - سر الجدة - معركة طبيب - سر ملكة الملوك عن حتشبسوت - أحلام حسن - الفرس المسحورة عن الشاطر حسن - أبطال أرض الفيروز - الصياد ودينار السلطان - أسرار بيت الطالبات - سلطان ليوم واحد - الرحلة العجيبة لعروس النيل - قليل من الراحة فوق السلالم - طيور الأحلام - ثروة تحت الأرض - الكسلان وتاج السلطان - مرمر وبابا البجعة - أبناء فى العاصفة - معجزة فى الصحراء - الواحة المفقودة - محب وكنز العجائب - حكاية نعيم ونعمة - ليلة النار - وحش الشوك الأزرق - تم نشر معظمها فى " دار المعارف " ، وبعضها فى " مكتبة مصر " ، و " دار الياس العصرية " و " دار الشروق " و " نهضة مصر " . كما تم تحويل عدد من أهم رواياته إلى أفلام رسوم متحركة ومسلسلات للتليفزيون ومسرحيات للأطفال استمر عرضها فترات طويلة - كذلك صدرت عدة كتب عن مؤلفاته من أهمها " الإبداع فى أعمال الشارونى " الصادر عن وزارة الثقافة المصرية ، و " أفراح وأحزان طفل هذا الزمان " عن هيئة الكتاب ، و " الجديد فى قصص وروايات الشارونى " و " سحر الحكاية " عن دار العلوم للنشر ، كما كانت موضوعا لعدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه .

أ . يعقوب الشارونى / ت . منزل : ٢٣٦٤٥٥٦٩ - محمول : ٠١٠٠ / ٥١٨١١٠٧ - فاكس : ٢٣٦٨٠٠٥٧

Email:yacoubelsharouny@yahoo.com